مقتل الحسين عليه السلام

أو الحسين عليه السلام عبرة المؤمنين

العلّامة السيد جواد شبّر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، وعلى أنبياء الله المرسلين.

وبعد، فهذا كتاب « مقتل الحسين عليه السلام »، أو « الحسين عليه السلام عبرةُ المؤمنين » للخطيب العلاّمة المجاهد السيّد جواد شُبّر (جزاه الله عن الإسلام وأهل البيت عليهم السلام خير الجزاء).

هذا الرجل الربّاني الذي مزج العلم بالحلم، وقرن القول بالعمل، فكان بحقّ مصداقاً لقوله تعالى: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً)[1].

إنّ هؤلاء الرجال، الكبار في أهدافهم ونفسيّاتهم، تبقى لهم مزايا وخصائص ليست لغيرهم؛ فهم تحمّلوا من العناء بحجم أهدافهم، وقد ابتلاهم خالقهم على قدر إيمانهم، وقدر حرصهم على الرسالة الإلهيّة، قال تعالى: (... وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا)[2]، (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)[3]. وعن الصادق عليه السلام : « إنّ أشدّ النّاس بلاءً الأنبياء، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الأمثل فالأمثل »[4].

لقد جسّد الخطيب المثالي السيّد جواد شبّر الأهداف الإسلاميّة العُليا بأوضح الصّور وأجلّ المعاني، وأعادَ إلى الأذهان نموذج الرجال الذين يحرصون على الأهداف الكبرى، ويعيشون لها لا عليها، وقد تبوّأ من أجل ذلك مكاناً عليّاً في القلوب والعقول[5].

إنّ مواكب البطولة على محراب الخطّ التوحيدي كانت ولا تزال قافلة عشق متواصلة الخُطى نحو الكمال المطلق، وهي حاشدة عبر امتدادات الأرض وأعماق الزمن، تعجّ بالمضحّين ممّن اختصروا المسافات ليهنوا بجوار الله في رَوح وريحان وجنّة نعيم.

---

(١) سورة الأحزاب / ٣٩.

(٢) سورة آل عمران / ١٤١.

(٣) سورة محمّد صلى الله عليه وآله / ٣١.

(٤) ميزان الحكمة ١ / ٤٨٢.

(٥) ومن أراد المصاديق على كلامنا فليسأل أهالي النجف الأشرف من رواد مجالسه العامرة، وكذلك أهالي الدجيل، والبصرة، وبعقوبة، وأهالي بغداد (الكرادة)، وكربلاء، والكوفة، وكذلك الأخيار في دولة الكويت وإيران وبيروت وغيرها.

مميّزات شخصيّته

لقد امتازت شخصيّة العلاّمة الخطيب السيّد جواد شبّر بعدّة مميّزات، نذكر أبرزها:

١ - الخوف والخشية من الله: يقول تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[١]، فالعالِم الحق هو الذي يخشى الله تعالى ويخافه في كلّ حركاته وسكناته، وأمّا مَنْ يفتقد الخشية فهو ليس بعالِم حتّى لو امتلك بحاراً من العلوم المختلفة؛ لذا يقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة: ((يعني بالعلماء مَنْ صدّق فعلُه قولَه، ومَنْ لم يُصدّق فعلُه قولَه فليس بعالِم))[٢].

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((أعظم الناس عِلماً أشدّهم خوفاً من الله))[٣]، وعنه عليه السلام: ((لا عِلْمَ كالخشية))[٤]، وعنه عليه السلام أيضاً: ((غاية العلم الخوف من الله سبحانه))[٥].

إنّ الخشية من الله كانت صفة ظاهرة على كلّ حركات سيّدنا المعظّم، وقد أزال هذا الخوف الحقيقي من الله كلّ خوف آخر من قلبه؛ فهو لم يَخَفْ طول حياته أحداً إلاّ الله سبحانه، ويشهد على ذلك جهاده أيّام المدّ الأحمر الذي غزا عراقنا الحبيب، فكان السيّد جواد شبّر من أوائل المتصدّين للشيوعيّة المقيتة، والمروّجين لفتوى الإمام الحكيم رحمه الله التأريخيّة (**الشيوعيّة كفر وإلحاد**)[٦].

كما لا أنسى موقفه المشرِّف من حادث اغتيال الحجّة السيّد مصطفى الخميني؛ فقد استدعاه الإمام الخميني العظيم للقراءة في مجالس الفاتحة التي أُقيمت على روحه الطاهرة في النجف الأشرف، وكأنّي بالسيّد الوالد وهو كالأسد الهصور يلقي من على منبر (مسجد الهندي) تلك الكلمات الحماسيّة المؤثرة في تلك الجموع الغفيرة من المعزّين، ويشير إلى عظمة شخصيّة الإمام الخميني وقيادته الفذّة[٧]، ويوم ذاك لم يكن اسم الإمام الخميني قد

---

(١) سورة فاطر / ٢٨.
(٢) الكافي ١ / ٣٦.
(٣) غرر الحكم.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) لقد تعرّض السيّد جواد شبّر لعدّة محاولات لاغتياله وقتله بسبب مواقفه البطوليّة، وكان يحمل روحه على كفّه وهو غير مكترث بمؤامرات الجبناء.
(٧) كنت آنذاك في النجف الأشرف، وقد حضرت مجالس الفاتحة التي أُقيمت على روح السيّد مصطفى، وكنت أتشرّف بالجلوس تحت المنبر الحسيني، ولا زالت كلمات الوالد عالقة في ذهني وهو يشير إلى الإمام الخميني الذي كان جالساً عند الباب يستقبل المعزّين، ويقول: ستعلمون أنّ هذا الرجل العظيم ماذا سيفعل بالدنيا!

اشتهر في إذاعات العالم كما حدث فيما بعد.

وقد حدّثني أحد تلاميذ الإمام الخميني الذي كان يقطن في المدرسة الشبّرية بأنّ الإمام قال لبعض مُقرّبيه: إنّ الخطيب الوحيد الذي يؤدّي الدور المطلوب في مجالس الفاتحة لمصطفى هو السيّد جواد شبّر. وهكذا يكون الخطيبُ الأكمل أخوف النّاس لله وأتقاهم؛ فيجعل الله له المنزلة العظيمة والكرامة المخصوصة، يقول تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)[1].

٢ - يعمل بِعلمه ويفعل ما يقول: يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((يا حملة القرآن، اعملوا به؛ فإنّ العالِم مَنْ علم ثمّ عمل بما علم، ووافق عملُه عِلمه))[2].

إنّ السيّد شبّر كان عاملاً بعلمه، ولم يكن الكاتم للعلم أو الباخل به، بل كان مُعلّماً للخير، ومُربّياً للناس، وناشراً لعلوم محمّد وآل محمّد (صلوات الله عليهم)، ومصداقاً لـ «الأجود» الذي يشير إليه رسول الله صلى الله عليه وآله في حديثه الشريف: ((ألا أخبركم عن الأجود الأجود؟)).

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: ((الله الأجود الأجود، وأنا أجود ولد آدم. وأجودكم من بعدي رجل عَلِم علماً فنشر علمه، يُبعث يوم القيامة أُمّةً وحده، ورجلٌ جادَ بنفسه لله عزّ وجلّ حتّى يُقتل))[3].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((مَنْ نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من مُعلّم الناس ومؤدّبهم))[4].

لقد عُرف عن هذا الخطيب الجليل بأنّه كان يأتمر بالمعروف قبل أن يأمر به، وينتهي عن المنكر قبل أن ينهى عنه غيره، وكان يتّعظ قبل أن يعظ غيره؛ لذلك كان كلامه مؤثّراً جدّاً في جمهوره الذي لمس فيه روح الإخلاص والصدق، والمحبّة والأُبوّة؛ لذلك كان إذا خطب اشرأبّتْ له الأعناق، وشخصت الأحداق، وانقطعتْ الأنفاس، وسكنتْ الأجراس... يسيطر على الألباب، ويهيمنُ على المشاعر، وينفذ إلى أعماق القلوب ببليغ منطقه، وعذوبة أُسلوبه، وقوّة شخصيّته، وسِحْر كلماته، وحماسة إلقائه، ولذيذ إنشاده وإنشائه[5].

---

(١) سورة النازعات / ٤٠ - ٤١.
(٢) نهج السعادة ٢ / ١٠٢.
(٣) الترغيب والترهيب ١ / ١١٩.
(٤) بحار الأنوار ٢ / ٥٦.
(٥) معجم الخطباء ١ / ٢٦٠ - ٢٦١.

وكان السيّد الغيور يشدّ على أُولئك المدّعين للتدين وهم أبعد الناس عنه، مُردّداً مع جدّه علي بن أبي طالب: ((كفى بالمرء غوايةً أن يأمر الناس بما لا يأتمر به، وينهاهم عمّا لا ينتهي عنه))[١]، ((أظهر الناس نفاقاً مَنْ أمر بالطاعة ولم يعمل بها، ونهى عن المعصية ولم ينته عنها))[٢].

إنّ من أسباب مشاكلنا الكثيرة وتأخّر مجتمعنا هي تلك العلاقة المنافقة، حيث يشدّد الواعظون على غيرهم، ويخفّفون عن أنفسهم! الويل لكم يا علماء الشريعة! تحمّلون الناس أحمالاً باهظةً وأنتم لا تمسّوها بإحدى أصابعكم[٣]؟! قال تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ)[٤]، وقال جلّ شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)[٥].

٣ - الجهاد في سبيل الله: يقول تعالى: (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً)[٦]، وقال سبحانه: (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ)[٧].

ولما نهض سيّد الأحرار الإمام الحسين بن علي عليهما السلام ضدّ الظالمين خطب قائلاً: ((أيّها النّاس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَنْ رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عبادِ الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بقول ولا فعل كان حقّاً على الله أن يُدخله مَدخله))[٨].

من هذا المنطلق كان يتحرّك الأستاذ السيّد جواد شبّر، يقارع الظلمة والطُغاة بلسانه الذي سخّره لخدمة دينه وعقيدته، وكان شعاره هذا البيت من الشعر الذي كتبه على غلاف كتابه

---

(١) مستدرك الوسائل ٢ / ٣٦٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هذا القول للسيّد المسيح عليه السلام.

(٤) سورة البقرة / ٤٤.

(٥) سورة الصف / ٣ - ٤.

(٦) سورة النساء / ٩٤.

(٧) سورة المائدة / ٥٤.

(٨) حياة الإمام الحسين - للقرشي ٢ / ٢٧١.

الخالد «أدب الطفّ»:

ومـــا فـــاتني نصـــركم باللســـان إذا فـــاتني نصـــرُكم باليـــدِ

وكأنّ رسول الله ﷺ عنى أمثال هؤلاء بقوله: ((أقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم والجهاد))[1].

فالسيّد جواد شبّر وقف مع العلماء الأعلام في تصدّيهم للظلم والانحراف؛ فكان اللسان الصادق، والمجاهد للمرجعيّة الرشيدة الواعية. ولا أنسى إشادته العلنيّة من فوق المنابر بشخصيّات علمائيّة تمثّل حجر العثرة أمام طموحات أنظمة الإجرام والخيانة...

ومن هؤلاء الأفذاذ المرجع السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره الذي كانت تربطه علاقة وثيقة بالسيّد شبّر، فكان خطيبه في داره أثناء موسم شهادة باب الحوائج موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، كما إنّه كان يحثّ الشباب وبصورة علنيّة على الالتفاف حول الإمام الصدر قدس سره[2]. ولا أنسى تلك اللحظات السعيدة التي كان السيّد الصدر يزورنا فيها إلى بيتنا ليقدّم الشكر للوالد على قراءته.

ونتيجة للمواقف الجريئة للسيّد شبّر فقد اعتقله النظام المتفرعن لعدّة مرّات، وأذاقه ويلات التعذيب، فكنتُ أنظر إلى آثار التعذيب على ظهره ورجليه ويديه. وكان آخر اعتقال له في الشهر السابع من عام ١٩٨٢ م، ولم يُعرف خبره لحدّ كتابة هذه الأسطر.

نسبه الشّريف

هو السيّد جواد ابن السيّد علي شبّر (١٣٠٤ - ١٣٩٣ هـ) ابن السيّد محمّد ابن السيّد علي ابن السيّد حسين ابن السيّد عبد الله شبّر (١١٨٨ - ١٢٤٢ هـ) ابن السيّد محمّد رضا شبّر (المتوفّى سنة ١٢٣٠ هـ - صاحب صلاة الاستسقاء) ابن السيّد محمّد ابن السيّد محسن ابن السيّد أحمد ابن السيّد علي ابن السيّد أحمد ابن السيّد محمّد ابن السيّد ناصر الدين ابن السيّد شمس الدين محمّد ابن السيّد محمّد ابن السيّد نعيم الدين ابن السيّد رجب ابن السيّد حسن «الملقّب شبّر» ابن الشريف محمّد بن أبي حمزة «الملقّب بُرْطلّه» ابن العباس بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن الحسن الأفطس بن علي الأصغر ابن الإمام علي بن الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) المحجّة البيضاء ١ / ١٤ (أخرجه أبو نعيم في فضل العالم).

(٢) احتفظ بكاسيت مسجّل بصوت الوالد، وبحضور السيّد الصدر في أحد المجالس الجماهيريّة في النجف الأشرف.

أُسرته

آل شبّر من بيوت العلم والصلاح والشرف، عُرفت منذ قرون عديدة بالسيادة والفضل، وتميّزت بعدد كبير من رجالها الذين نبغوا في مختلف العلوم، كما إنّها تنحدرُ بنسبها إلى البيت العلوي الشريف، وتَصلُ سلسلة نسب أجدادها الأبرار بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

يقول البحّاثة جعفر آل محبوبة: آل شبّر أُسرة عراقية قديمة، وهي من أقدم الطوائف العلويّة القديمة في العراق، وأعرقها في العروبة، وأقدمها في الهجرة. كان مقرّها الأصلي في الحلّة الفيحاء، ولم تزل بقيّتهم بها حتّى اليوم، وبها عُرفتْ ومنها تفرّعتْ[1]. وذكرها النسّابة الشهير الداوودي في كتابه (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)، كما جاء ذكرها في (بحر الأنساب)، و(وشي النجف) وغيرها. أصل الأُسرة من مدينة الحلّة في العراق، وقد كانت لهم مكانة كبيرة ومرموقة في قلوب أبناء هذه المدينة. انتقل بعض أبناء الأُسرة إلى الكاظمية قرب بغداد، ونزح البعض إلى مدينة النجف الأشرف في حين آثر البعضُ البقاء في موطنهم الأصلي. أمّا سبب التسمية بـ «شبّر»[2] فهو لقب لجدّها الكبير السيّد الحسن ابن الشريف محمّد بن أبي حمزة الملقّب بُرْطُلَّة.

وتفرّع من هذه الشجرة المباركة صفوة من العلماء والأُدباء، وأهل التقوى والصلاح، حيث امتلأتْ الكتب والموسوعات بذكرهم. ومن هؤلاء الأفذاذ العلاّمة الكبير السيّد محمّد رضا شبّر؛ فقد كان من علماء عصره الأعلام وفقهائه المشاهير، ومن أهل النسك والصلاح والتقوى وسلامة الباطن، وتُروى له بعض الكرامات الباهرة. ذكره الشيخ عبد النبي الكاظمي في تكملة نقد الرجال، فقال واصفاً له ولولده العلاّمة السيّد عبد الله شبّر بقوله: ثقتان، عينان، مجتهدان، فقيهان، فاضلان، ورعان، حازا الخصال الحميدة. ثمّ صرّح بأنّه تلميذهما، وأنّه قرأ عليهما واستفاد منهما[3]. وذكره السيّد محمّد بن مال الله بن محمّد معصوم القطيفي النجفي في

---

(١) الأُسر العلويّة - للبحّاثة جعفر آل محبوبة.

(٢) لما وُلد الحسن بن علي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : ((ما سمّيتَه؟)). قال: ((يا رسول الله، لم أكنْ لأسبقك باسمه)). فقال صلى الله عليه وآله : ((وأنا لم أكن لأسبق ربّي بذلك)). فنزل جبرئيلُ وقال: يا رسول الله، إنّ الله يُقرئك السّلام، ويخصّك بالتحيّة والإكرام، ويقول لك: ((إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون)). قال صلى الله عليه وآله : ((وما اسمُ ابن هارون؟)). قال: شبّر. قال صلى الله عليه وآله : ((هذا لسان عِبْري، وأنا لساني عربي، فما معناه؟)). قال: الحسن. فسمّاه الحسن. (كتاب المناقب لابن شهر آشوب). ومن معاني شُبّر: الخير والعطاء والجود. شُبّر (لغةً): العظيم، يُقال شَبَّرَ فلاناً تشبيراً فتشبّر، أي عظّمه فتعظّم. (تاج العروس / ١٢٧)

(٣) عن كتاب طبقات أعلام الشيعة - الكرام البررة - في القرن الثالث بعد العشرة - لشيخ الباحثين آقا بزرگ الطهراني - القسم ٢ من الجزء ٢، الناشر: دار المرتضى - مشهد - مطبعة سعيد - الطبعة الثانية / ١٤٠٤.

رسالته التي ألّفها في أحوال أُستاذه السيّد عبد الله ابن السيد محمد رضا شُبَّر، ووصفه بقوله: سلالة العالم المحقّق، والماهر المدقّق، مُستنبط الفروع من الأصول، ومرجع الدليل إلى المدلول، علاّمة الزمن، وحجّة الإسلام، مُحيي الليل بالعبادة.

ثمّ أضاف قائلاً:... قد شاهدتُ له فضيلة تفوق الفضائل: في سَنَة مُجدبة من السنين أمر الوالي سعيد باشا جميع أهل بغداد أن يصوموا ثلاثة أيام ويخرجوا للاستسقاء وطلب المطر، ففعلوا ذلك وخرجوا، وكان بعضُ السحاب في الجو، فلمّا دعوا انجلى السحاب وأشمست، وحُجبوا ورجعوا في خيبة وخجل.

وأمر السيّد محمّد رضا شبّر ﷺ أهل بلد الكاظمين بالصيام ثلاثة أيام فصاموا، وخرج مع جميع أهل البلد إلى مسجد (براثا) حافي الأقدام، مُبتهلاً إلى الله تعالى، ولم يركب دابّة مع أنّه عاجز عن المسير؛ حيث إنّه كان بديناً جسيماً حتّى دخل المسجد المذكور، وصلّى ودعا وبكى، فما أتمّ دعاءه حتّى انسدّ الفضاء بالسحاب، وأرعدت وأبرقت وصبّتْ مطراً سقتْ جميع أراضي العراق من نواحي بغداد وغيرها[1].

هاجر ﷺ من النجف إلى الكاظميّة، فكان عَلَماً يُشار إليه في كلّ فضيلة، ورأس فيها، واشتغل بالتدريس والإفادة، وتخرّج عليه جماعةٌ منهم ولده الجليل السيّد عبد الله، وتوفي في حدود سنة ١٢٣٠ هـ، فدُفن في رواق الكاظمين عليهما السلام في الحجرة المشهورة بالخزانة الواقعة على يمين الداخل للرواق من جهة القبلة، ودُفن معه من بعده ولده السيّد عبد الله المتوفّى سنة ١٢٤٢ هـ.

أمّا السيّد عبد الله شبّر فقد استحوذ ذِكْرُه على بقيّة أعلام الأُسرة ورجالاتها، ولمع نَجْمُهُ واشتهر أمره، وبلغ صيته الآفاق الواسعة، ورزقه الله من العلم والمعرفة الشيء الكثير، وما تزال الأجيال ترفد منه وتنتهل من معينه الثّر رغْم مضي ما يزيد على قرنين من الزّمان على وفاته[2].

ولد ﷺ عام ١١٨٨ هـ في النجف الأشرف، وهو من أعاظم علماء عصره، وأحد علماء الشيعة الأكابر، وفقهاء الطائفة الأعلام، وحجج العلم وأساطين الشريعة الأجلاّء، ومن المؤلّفين المكثرين؛ ولكثرة ما صنّف وألّف فقد اشتهر بـ «المجلسي الثاني».

هاجر بصحبة والده إلى الكاظميّة، فتربّى على يديه وتلقّى العلم عنه، وعن المقدّس الكاظمي السيّد محسن الأعرجي صاحب (المحصول)، وغيره من شيوخ العلم وأساطين الدين، وأُجيز من الشيخ الأكبر الشيخ

---

(١) هذه الكرامة نقلتها عن مقدّمة كتاب الأخلاق - للسيّد عبد الله شبّر.

(٢) مجلّة الموسم العدد (١) - السنة١ / ١٩٨٩.

جعفر كاشف الغطاء وغيره.

وقد برع العلاّمة شبّر في أكثر العلوم من الفقه والأصول، والحديث والتفسير، والفلسفة والكلام، واللغة والأدب والتاريخ وغيرها، وكان مرجعاً كبيراً في التدريس والفُتيا والقضاء، ونشر الأحكام وهداية الأنام.

وقد حظي ﷺ بعناية إلهيّة خاصة، وتوفيق عظيم من ناحية التأليف؛ فقد طرح الله البركة في وقته وعمله، فتمكّن من تأليف عشرات الكتب العلميّة الرّصينة القيّمة مع مشاغل زعامته ومرجعيّته. وقد سمعت من الوالد السيّد جواد شبّر بأنّ السيّد عبد الله ألّف خمسمئة كتاب ورسالة وبحث. توفّي **رحمه‌الله** بعد مضي ست ساعات مِن ليلة الخميس في شهر رجب سنة ١٢٤٢ هـ عن أربع وخمسين سنة، ولما أصبح الصباح ماجت بلدة الكاظمين بأسرها، ووافى أهل بغداد من الجانبين، وكثر الصراخ والبكاء والضَجيج، وكان يوماً عظيماً مشهوداً، وحُمِلَ على الأعناق، وقد أرّخ الخطيبُ الشهير الشيخ كاظم آل نوح وفاةَ السيّد بقوله:

خَطْبٌ دهى فَراحَ عنّا راحِلا ... اِبنُ النبيّ الطاهر المطهّرِ

وقد بكاهُ الدّين حُزناً أرّخوا ... (قد ماتَ عبدُ اللهِ اِبنُ شُبَّرِ)

١٢٤٢

ومن أعلام الأُسرة الشبّرية العلاّمة الفقيه آية الله السيّد علي شبّر (والد المؤلّف)، هو ابن السيّد محمّد ابن السيّد علي ابن السيّد حسين ابن السيّد عبد الله شبّر.

والسيّد علي هو الأخ الأكبر للشهيد السيّد قاسم شبّر. ولد في النجف سنة ١٣٠٤ هـ، وفيها تربّى ونشأ ودرس على أعلامِ عَصْرِه؛ فتتلمذ في الحكمة والكلام على الشيخ مرتضى الطالقاني، ودرس الفقه والأصول على الشيخ باقر الجواهري، وأتمّ دراسته العالية على المرجعين الكبيرين الشيخ محمّد حسين النائيني، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني، وحاز منهم على شهادة الاجتهاد العالية وهو بعد في نضارة عمره. ثمّ تفرّغ للتدريس، فتسابق المحصّلون والفضلاء للانتهال من علمه الجَمّ، واستمرّ بالتدريس عدّة سنوات حتّى سنة ١٣٧٥ هـ حيث انتدبه مرجع عصره السيّد حسين البروجردي ممثّلاً دينيّاً للكويت، فسافر إليها يوم ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٧٥ هـ، واستُقبل هناك استقبالاً كبيراً لدى شعب الكويت بالمحبّة والاعتزاز.

وفي عام ١٣٨٤ هـ قام ﷺ بإنشاء المدرسة الشبّريّة في النجف، وكان افتتاحها في ليلة ١٥ شعبان ١٣٨٧ هـ باحتفال مهيب من أروع الاحتفالات التي شهدتها النجف، وشارك فيها مجموعة من العلماء والأُدباء، وقد خرّجتْ المدرسة هذه العشرات من العلماء والفقهاء،

وتولّى إدارة المدرسة والقيام بشؤونها الخطيب الكبير السيّد جواد شبّر نجل المؤسّس، فاهتمّ بإنشاء مكتبة فيها تحوي على أشهر الكتب وأندرها، وخصوصاً مخطوطات الأجداد والعلماء الماضين....

أمّا أبرز آثار السيّد علي شبّر فهي موسوعته الفقهيّة «العمل الأبقى في شرح العروة الوثقى»، وقد طُبعت بأربعة مجلّدات بين سَنَتي (١٣٨٣ - ١٣٩٣ هـ) وتقع في ألفي صفحة. انتقل إلى رحمة الله عصر الخميس في آخر يوم من شهر رجب سنة ١٣٩٣ في الكويت، وشُيّع تشييعاً مهيباً قلّ نظيره، ونُقل إلى النجف الأشرف حيث دُفن عند جدّه عليّ أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن رجال الأُسرة الأفذاذ العالم المحقّق، والقاضي الفاضل، والشاعر الأديب السيّد عبّاس شبّر. ولد في مدينة البصرة سنة ١٣٢٢ هـ، نبغ في كثير من العلوم وهو فتى يافع، وكتب بعض البحوث، وبرز في الوسط الأدبي كشاعر موهوب يأتي بالأفكار المبتكرة، ونشرت له أُمّهات الصحف والمجلاّت.

تولّى منصب القضاء الشرعي في العمارة ثمّ في البصرة فبغداد فكان المثال الرائع للنزاهة[1]. له ديوان «جواهر وصور»، وديوان «الموشور». توفي ليلة الجمعة ٨ شوال ١٣٩١ هـ، وقد شيّع في كلّ من البصرة والعمارة، والكاظميّة وكربلاء والنجف حيث مثواه الأخير.

ومِن علماء الأُسرة وشهدائها الأبرار آية الله المجاهد السيّد قاسم شبّر المولود عام ١٣٠٨ هـ في مدينة النجف الأشرف، وكان وكيلاً في مدينة النعمانية من قِبل السيّد الأصفهاني رحمه الله، ثمّ من قِبل السيّد الحكيم رحمه الله؛ حيث جسّد بسلوكه المهذّب وخُلُقه العالي وجهاده الخلق الإسلامي وسيرة أجداده الطاهرين محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله ؛ ممّا جعله مَهوىً لأفئدة الناس فأحبّوه حُبّاً جَمّاً، واتّخذوه قائداً وأباً عطوفاً.

وقد وقف السيّد قاسم موقفاً مناهضاً من المدّ الشيوعي الأحمر، ثمّ مِن النظام المتفرعن؛ ممّا أدّى بالأخير إلى اعتقاله، ثمّ إعدامه في ليلة الخامس من شعبان من عام ١٣٩٩ هـ والمصادف سنة ١٩٧٩ م رمياً بالرصاص، ولم يُسلّموا جُثته لِذَويه، بل اكتفوا بمنحهم شهادة الوفاة... ولم يُعلم في أيّ مكان دُفِن.

ولادته ونشأته

ولد السيّد جواد في ١٣ جمادي الآخرة ١٣٣٢ هـ في النجف الأشرف، وبها تَربّى ونشأ

---

(١) كتاب أدب الطفّ أو شعراء الحسين - للسيّد جواد شبّر ١٠ / ٢٦٢.

ودرس واعتُقِل..

يقول صاحب مُعجم الخطباء[1]: وُلد خطيبنا المترجم في أحضان أسرة علمية ليكون خطيبها المفوّه، ولسانها المعبّر؛ إذْ ليس في الأُسرة خطيب سواه، فهو الدرّة اليتيمة، والمفخرة العظيمة حتّى اختطّ ولده الأمين نهجه، وسلك طريقته في خدمة سيّد الشهداء عليه السلام.

نشأ وترعرع السيّد في أُسرة علميّة عريقة، فنهل مِن أبيه الذي نشأ وتربّى تحت رعايته، كما أخذ العلوم والمعرفة مِن علماء النجف الأشرف آنذاك. وإلى جانب دراسته التقليدية انتسب لمدارس منتدى النشر الحديثة، واجتازها بتفوّق حتّى أصبح من مدرّسيها الأماثل وأساتذتها الأفاضل، ثمّ شغل سكرتارية المجمع الثقافي للمنتدى المذكور. وبعد أن جمع بين الثقافتين التقليدية والعصرية اتّجه بكلّ طاقاته الخلاّقة وقدراته المتفوّقة إلى خدمة المنبر الحسيني الشريف، وكانت تراوده هذه الرغبة الملحّة منذ سنّه المبكّر حتّى حقق طموحه، ونبغ في تخصّصه، واحتلّ موقع الصدارة في الطراز المتميّز من خطباء المنبر الحسيني[2].

خطابته

تعتمد شخصيّة الخطيب الحسيني المتفوّقة ثلاثة مصادر أساسيّة في بلورة الملكة الخطابيّة، ومقوّمات نجاحها، وعناصر تأثيرها في الجماهير:

١ - الموهبة والاستعداد الفطري: ويعتبر هذا المصدر القاعدة الصلبة لانطلاقة الخطيب وممارسة فنّ الخطابة.

٢ - الكفاءة العلميّة والثقافيّة: حيث إنّ الموهبة الفطريّة مثلها كمثل الأرض الخصبة التي تحتاج إلى رعاية واهتمام لتعطي الناتج الجيد، وكذلك المواهب الإنسانيّة تحتاج إلى صقل وتنمية وتهذيب لتنمو وتنطلق وتبدع، وذلك باعتماد المنطق العلمي والثقافي أساساً متيناً وتوأماً شقيقاً للاستعداد الفطري.

٣ - التزوّد برصيد كبير من الشعر والأدب العربي عموماً على أن يكون لأدب الطفّ حصة الأسد في ذلك الرصيد؛ حيث إنّ الشعر والأدب الحسيني يمثّل المادّة الخام والثروة الأدبيّة الكبرى التي يتحقّق معها تكامل الخطيب.

وتظافرت هذه الروافد والقنوات الثلاثة فشكّلت شخصية أُستاذنا الجواد الخطابية، فهو

---

(١) معجم الخطباء ١ / ٢٨٤.

(٢) معجم الخطباء ١ / ٢٨٦.

الخطيب الموهوب، والعالم المثقف، والشاعر الأديب، جمع بين الشعر والخطابة، والتأليف والكتابة إلاّ أنّ سمته المميزة أنّه خطيب بالفطرة، وكأنّما يد المقادير صهرته في بوتقة، وسكبته في قالب أُعدّ خصيصاً لخطابة المنبر الحسيني؛ فهو ببزّته وقيافته، وهيئته وملامح شخصيّته لا بدّ أن يكون ركناً هامّاً في تاريخ المنبر الحسيني الشريف. أمّا أُستاذه الأوّل في هذا الفنّ المقدّس فهو الخطيب المغفور له الشيخ محمّد حسين الفيخراني، وأصبح مفخرة الأعواد التي إذا اعتلاها أدهش حتّى أساطين الفنّ وجهابذة الخطباء، واشتهر بأنّه خطيب المناسبات. وطالما سمعته يحثّ تلامذته بإصرار وتأكيد على وجوب تنوّع معارف الخطيب الحسيني واستعداده الكامل لتوقّع المناسبات المفاجئة، بأن يكون جاهزاً للحديث في مواجهة أيّ ظرف طارئ يقتضي الارتجال والتحدّث؛ فقد كان يركز هذه الفكرة، ويؤكّد علينا هذا الطرح، وخصوصاً في المدرسة الشبّريّة عندما يُقام احتفال لأحد طلاّبها عند تتويجه بزي أهل العلم، واعتماره العمّة الروحانية. وكأنّي أراه الآن وهو يخاطب الطلبة الحضور بلهجته المعهودة في إحدى تلكم الحفلات وهو يردّد أبيات الشبيبي:

آراؤكم لا السيوف البيض قام بها ... لله في الأرض تكبيرٌ وتهليلُ

أرست مَنار الهدى في كلّ مملكة ... هذي العمائمُ لا تلك الأكاليلُ

وطالما كان يردّد: العمامةُ تيجان العرب، والعمّة لباس الأئمّة، ويدعو إلى صيانتها واحترامها والالتزام بمقتضى حرمتها وقدسيّتها. ومن خصائص الأُستاذ الجواد كثرة استظهاره للشواهد الشعريّة، فلا تكاد تمرّ مناسبة أو تُحدّثه بحديث أو حكاية إلاّ واستشهد لك بروائع الأشعار وغرر المقاطع. ولعمري فإنّ من أمتع اللحظات وأسعدها تلك التي نجلس فيها إليه ونستمع حديثه الشيّق، وهو ينتقل بنا من بستان وارف إلى حديقة غنّاء من مُلحه وأدبه ونثره. وما يعلق ببالي الآن من تلك الجلسات قوله في عبد السّلام عارف عندما احترقت طائرته في الجو بمَنْ فيها، قال:

رأيتَ كيفَ اصطرعا ... عبد السّلام والقدَرْ

هبّتْ به عاصفةٌ ... منقدحٌ منها الشررْ

وكوّرتْ طائرة ... كما تكوّرُ الأُكرْ

ومذْ قضى أرّختهُ ... لقد مضى إلى سقرْ[1]

ومرّةً سألته: أبتاه، مُنذ كم وأنتم تقرؤون على الحسين عليه السلام؟ فقال: أوّل مَرّة قرأتُ كان عمري تسع سنين فقط.

---

(١) معجم الخطباء ١ / ٢٨٦.

وحدّثني (فرّج الله عنه) عن بعض مواقفه الخطابيّة الرائعة في بيروت عند عودته من إحدى سفراته التبليغيّة في موسم شهر رمضان المبارك، قائلاً: في كلّ عام وبمناسبة شهادة أمير المؤمنين عليه السلام يُقام احتفال جماهيري غفير في بيروت، تشارك فيه شخصيّات إسلاميّة ومسيحيّة، وتُنشَدُ القصائد والكلمات الأدبيّة بحضور رجال الفكر والأدب والسياسة، بالإضافة إلى حضور بعض الوزراء وأعضاء مجلس النوّاب، وتُخصّص الحكومة اللبنانيّة ساعتين لبث وقائع الحفل عبر الإذاعة.

يقول السيّد الوالد: فدُعيتُ إلى ذلك المهرجان الجماهيري الغفير... وبدأتْ فقراتُ الحفل الثرية بالأدب والثقافة والمتعة... ومن تلك القصائد كانت رائعة الشاعر اللبناني الشهير رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي). يقول السيّد: وكانت آخر فقرة - قبل كلمتي - كلمة الإمام السيّد موسى الصدر، حيث أذهل الجمهور بكلماته الرائعة، ووصفه لعظمة أمير المؤمنين **عليه السلام** وصفاته الملكوتيّة، حيث انفجر الجمهور بالتصفيق والتشجيع والإعجاب. بعد ذلك تقدّم عريف الحفل الذي كان خطيباً مفوّهاً ولبقاً، وله قابليّة عجيبة في شدّ الجمهور، فأعلن بصوته قائلاً: أمّا الآن فتستمعون إلى كلمة خطيب العراق جواد شبّر....

يقول السيّد: فقمتُ إلى المنصّة، ولكن ماذا سأقول، وكيف أتحدّث بعد ما طال المقام بالجمهور، وبعد هذه الكلمات والقصائد الرائعة، وخصوصاً بعد كلمة الإمام الصدر؟! وقفت على منصّة الخطابة وقلتُ: أيّها الحفل الكريم... ما عساني أن أقول أو أتحدّث بعد ما أغنانا الإمام الصدر بكلماته العذبة... ما عساني إلاّ أن أتمثّل بقول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحرُ والساحرُ

ما إن قرأتُ هذا البيت الشعري إلاّ وشعرتُ بالجمهور قد انفجر بالتصفيق الحاد... فقد أعاد هذا (الأُسلوب) الحيويّة والنشاط في الجمهور، وكأنّ الحفل قد بدأ لتوّهِ بمادّته الأُولى... ثمّ شرعتُ بالتعليق على كلمات السيّد الصدر في حقّ الإمام علي عليه السلام. وهنالك مجالس تأريخيّة للسيّد جواد شبّر كنتُ قد واكبتها معه ولا أنساها مطلقاً؛ منها المجلس السنوي الضخم الذي كان يُقيمه آية الله المرحوم السيّد نصر الله المستنبط بمناسبة شهادة الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام في وقت الضحى، حيث يكتظّ بالفضلاء وطلبة الحوزة، والعلماء الأعلام والمراجع العِظام؛ كالسيّد الخوئي، والسيّد الصدر، والسيّد الشاهرودي، والسيّد السبزواري، والسيّد عبد الهادي الشيرازي، والسيّد عبد الله الشيرازي وغيرهم... وكأنّي أنظر إلى هؤلاء مع الجمهور الغفير وكلّهم آذان صاغية لما يقوله السيّد جواد شبّر، ثمّ ينفجرون بالبكاء لمصائب الصدّيقة الشهيدة المظلومة.

ومن تلك المجالس التأريخيّة المجلس السنوي الذي يقيمه المرحوم الحاج صالح

الجوهرچي في مسجده في شارع المدينة صباح يوم شهادة زين العابدين عليه السلام، حيث يكتظّ الجمهور النجفي للاستماع إلى حديث خطيبهم الشهير، ثمّ النظر إلى صورة رأس الحسين عليه السلام بالبكاء والنحيب. إلى غير ذلك من المجالس التأريخيّة في منزل الشيخ محمّد علي (أبو الزوالي)، ومنزل السيّد (فاضل زوين)، ومنزل السيّد (حسن الخرسان)، نسأل الله تعالى أن يعيد تلك الأيّام الخالدة.

تكريم السيّد للعلماء

علاقة السيّد جواد شبّر بالعلماء والمراجع علاقة إخلاص وحُبّ وإيمان؛ فقد كان اللسان الصادق للمراجع العظام الذين أحبوه ووثقوا به، وحثّوا الناس على الاستماع إلى مجالسه؛ فعلاقته الوطيدة معروفة لدى الجميع، خصوصاً بالمراجع الذين أتذكّر بأنّه كان يصطحبني معه في زيارتهم والجلوس معهم طويلاً، وهم: السيّد محسن الحكيم، والسيّد الخوئي، والسيّد الخميني، والسيّد الشاهرودي، والسيّد عبد الأعلى السبزواري، والسيّد عبد الهادي الشيرازي، والسيّد عبد الله الشيرازي، والشهيد الصدر، والسيّد عبد الكريم الكشميري، والسيّد السيستاني. ولا أنسى زيارته لشيخ الباحثين آقا بزرگ الطهراني صاحب كتاب الذريعة، حيث دخلتُ معه لزيارته قبل وفاته لليلتين، ولما مات رحمه الله قام السيّد الوالد يحثّ الناس على الاشتراك في تشييعه التشييع المهيب. وكنتُ أسير خلفه وهو يتجوّل على أصحاب المحلاّت في السوق الرئيس في النجف (سوق الكبير) فيقول لهم واحداً واحداً: اغلِق محلك وتعال لتشييع الذي خدم التشيّع ببحوثه. حتّى صار له موكباً مهيباً وتشييعاً عظيماً حتّى الحرم الحيدري المقدّس، فاعتلى السيّد المنبر وألقى تلك الكلمة الارتجاليّة العظيمة مُشيداً بالشيخ آقا بزرك الطهراني وبالعلم والعلماء.

وأتذكّر الأبيات الشعريّة التي ألقاها، وهي:

آراؤكم لا السيوفُ البيض قام بها ... لله في الأرض تكبيرٌ وتهليلُ

أرست مَنار الهدى في كلِّ مملكة ... هذي العمائمُ لا تلك الأكاليلُ

حدّثني الوالد بعد مرور سنوات على هذا التشييع المهيب، وبعد اعتقاله الأوّل، قال: في سجن الأمن العامة ببغداد قال لي الجلاّد:... أتذْكُرْ كيف تشمّر بيديك وتصيح: هذي العمائم...، ثمّ تشير على غرفة (الكليدار) - وكان فيها المجرم عبد الحسين الرفيعي[1] - وتقول: لا تلك الأكاليل؟! ثمّ أخذوا بتعذيبي بالسياط على كتفيّ وظهري.

---

(١) مسؤول فرقة حزب البعث في النجف، وكان حاقداً على العلماء والمؤمنين، وعميلاً متملّقاً للنظام المتفرعن.

أمّا موقفه الشهم والنبيل عند وفاة العلاّمة الشيخ عبد الحسين الأميني فقد حثّ الناس وأهل الأسواق، وبذل الجهود الحثيثة من أجل تشييع مهيب ولائق لصاحب موسوعة (الغدير).

وفعلاً قاد (فرّج الله عنه) الناس والجماهير بما فيهم طلبة العلوم الدينيّة من جامعة النجف الدينيّة في (حيّ السعد) إلى الحرم الحيدري الشريف، حيث ألقى بالمشيّعين تلك الكلمة الرائعة مُشيداً بجهود العلاّمة الأميني في بيان حقّ أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة، وبيان عظمته ورفع ظلامته.

أمّا موقف السيّد شبّر وجرأته في تأبين الإمام الحكيم رحمه الله [1] فلا يُنسى قط، ولا يُمحى من ذاكرة الزمن النجفي، يقول السيّد حسن الكشميري - أحد تلاميذه -: عندما توفي المرجع الكبير السيّد البروجردي قدس سره اعتلى الخطيب السيّد جواد شبّر المنبر في تلك الجموع الغفيرة من الجماهير التي خرجت بمسيرات ضخمة ومواكب حداد، فألقى في الجماهير خطاباً عظيماً، أشاد بالمرحوم المرجع البروجردي، ثمّ بيّن عظمة الإمام الحكيم مُشيداً بدور مرجعيّته وجهاده، ومواجهته لحركاتِ الإلحاد والانحراف؛ ممّا أدّى بالكثيرين إلى الرجوع إلى قيادة السيّد الحكيم المرجعيّة.

ويقول السيّد الكشميري: تعرّض السيّد جواد إلى محاولتين للاغتيال مِن قبل الشيوعيّة، وكنتُ معه فيها:

الأُولى: بين الشامية وأبي صخير.

الثانية: بين الكفل والنجف.

---

(١) كانت وفاة الشيخ الأميني قبل مرور أربعين يوماً على وفاة المرجع السيّد الحكيم سنة ١٩٧٠ م؛ لذلك كان المشيّعون يردّدون:

فَجَعْتنا نُوَبُ الدّهر فسالتْ كلّ عَيْنْ
أعلى المحسن نبكي أم على عبد الحسينْ
يا مصاباً طبّق الكو نَ وأشجى الخافقينْ

حيث تعرّضَتْ سيّارته إلى هجوم شرس نجا منه بأُعجوبة[١].

تواضعه

التواضع خُلُقٌ كريم، وخلّة جذّابة تستهوي القلوب، وتستثير الإعجاب والتقدير، قال تعالى مخاطباً نبيّه الأكرم محمّد ﷺ: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[٢].

وقد أشاد أهل بيت محمّد ﷺ بشرف هذا الخلق، وشوّقوا إليه بأقوالهم الحكيمة وسيرتهم المثاليّة. يقول الصادق عليه السلام: ((إنّ في السماء ملكين موكّلين بالعباد، فمَنْ تواضع لله رفعاه، ومَنْ تكبّر وضعاه))[٣].

إذا عَظُـــمَ الإنســـانُ زاد تواضـــعاً وإنْ لَـــؤُمَ الإنســـانُ زاد تَرفّعـــا

إنّ كلّ مَنْ عرف السيّد جواد شبّر يلحظ بوضوح صفة التواضع لله وللأئمّة والعلماء والناس؛ وذلك بالاستجابة للخدمة الحسينيّة أينما كانت. وقد ذكرتُ صوراً من ذلك للأخ السيّد داخل - أحد تلاميذ الوالد - فدوّنها في كتابه (معجم الخطباء)[٤] قائلاً: ومن خصاله وميزاته أنّه كان بغاية التواضع في الخدمة الحسينيّة، فهو لا يردّ أحداً يدعوه ولو كان متواضعاً في حاله ومحلّه، فقد يُدعى إلى مناطق نائية وعرة الطريق صعبة الوصول ومع ذلك يتجشّم العناء ويصل ويرقى المنبر ويؤدّي خدمته. فقد دعاه ذات مرّة أحد الحمّالين البسطاء في النجف للقراءة في بيته المتواضع بمناسبة شرائه، فسأله السيّد عن موقع بيته، فقال: في منطقة الجدول، وهي من المناطق المنهكة الوصول، فقد استأجر السيّد عربة تجرّها الخيول كما هو المألوف هناك، وصحبه ولده السيّد أمين والدليل صاحب المجلس. يقول ولده الأمين: حتى وصلنا إلى أعماق الجدول، وانقطع الطريق على العربة وضاق فلا يتّسع لمرورها؛ فترجّلنا ومشينا على الأقدام مسافة طويلة حتى وصلنا إلى بيت الرجل، وهناك رقى السيّد المنبر وبارك البيت وأهله بكلّ فرح وسرور، ولم يبدو عليه أيّ تذمّر برغم التعب والوعثاء، ثمّ عاد بعد فراغه معتزّاً بخدمة الحسين وإدخال السرور على قلب ذلك الإنسان المتواضع وهو الخطيب الذي يصقع الأسماع، ويدهش العقول بمجالسه الجماهيريّة الحاشدة في بغداد والبصرة، والنجف

---

(١) نقل الحديث عن الكشميري الأخ الشيخ حمزة الخويلدي في تاريخ ٢ ربيع الثاني ١٤١٥ هـ.

(٢) سورة الشعراء / ٢١٥.

(٣) الكافي - أخلاق أهل البيت / ٣٦.

(٤) معجم الخطباء ١ / ٢٩١.

والدجيل، والخليج ولبنان وغيرها من البلاد الإسلاميّة.

ومن معتقداته الحسينيّة أنّ أطهر الأموال وأنقاها وأبعدها عن الشبهة تلك التي تصله عن طريق خدماته الحسينيّة؛ فقد كان لا يطعم أولاده وعائلته إلاّ منها، معرضاً عن موارده الأُخرى كإيجارات البيوت التي كان يمتلكها. يقول ولده السيّد الأمين: كنت أصحب والدي إلى السوق لنتبضّع بعض احتياجاتنا اليومية، فأراه يُخرج كيساً خاصاً يدفع منه اللوازم البيتية، فسألته: أبه، ما هذا الكيس؟

فقال والدي: هذه أموال خالصة من الحسين عليه السلام أنا أُطعمكم منها ليكون منبتكم ودمكم ولحمكم من المال الحلال بلا أدنى شك أو شبهة؛ لأنّي لم أشترط على أحد عوضاً، ولم أُساوم أو أُماكس على تقديم خدمتي، وإنّما هم يدفعون لي عن طيب نفس، وهم راضون مرضيّون.

الفارس في ميدان الشعر

من المواهب التي حَضِيَ بها السيّد جواد شبّر هي موهبة الشعر؛ فكان ينظم الشعر ويقوله في عدّة مناسبات، أمّا حافظته للقصائد الكثيرة والمتنوّعة واستشهاده بالأبيات المناسبة فشيءٌ قَلّ نظيره.

وأتذكّر في أحد المرّات كان مدعوّاً في بيتنا بعضُ الشعراء والأُدباء، فسأله الأديب الوجيه محمّد علي الحكيم: سيّدنا، كم تحفظ مِن الأشعار؟ فقال السيّد: كم تُخمّن؟ قال: عشرة آلاف بيت. فقال له: قُل: مئةِ ألف ولا تخشى. وقد نشرت له عدّة صحف ومجلاّت قصائد رائعة ومُعبّرة؛ كمجلّة الإيمان، ومجلّة النجف، والأضواء، ومجلّة العرفان اللبنانيّة، وجريدة الهاتف وغيرها.

كما إنّ للسيّد ديوان مخطوط ليس بأيدينا الآن، ولكنّه محفوظ بحفظ الله إن شاء تعالى، وهذه بعض الزهور اخترتها من روضته الشعريّة الغَنّاء:

١ - قصيدة بعنوان (طفلتي)، ويقصد بها أُختنا الكبيرة العزيزة (أُمّ حوراء)، نشرها في كتابه (إلى ولدي)[1]:

عـــوّذيها عـــن الـــعيونِ بنشـــره ... واحـــمليها مـــا بـــينَ نهـــديكِ زهـــره

ودعـــيها تـــحسُّ مـــنكِ بعطـــفٍ ... يـــملأ الـــقلبَ فـــرحةً مســـتمرّه

اطـــبعي قـــبلةً عـــلى ناظريهـــا ... واحـــذري الخـــدَّ إنَّ في الخـــدِّ جمـــره

---

(١) إلى ولدي / ٤٥.

نـــضّدي شـــعرَها لتبصـــرَ عيـــني روعـــةَ الحُســـنِ نظـــرةً إثـــرَ نظـــره
اعـــقديه تـــاجاً علـــى مفرقيهـــا وإذ زادَ رصّـــفي مـــنهُ وفـــره
دغـــدغيها لـــكي تـــقهقه حـــتّى تســـتثيري هـــوى فـــؤادي وشِـــعره
دغـــدغيها وأنـــت أُمٌّ وأدرى إنّ ضـــحكَ الوليـــد يـــوحي المســـرّه
ضـــحكة الطفـــلِ لا تَصـــنُّعَ فيهـــا وكـــذا كـــلّ مـــا نـــرى منـــهُ فِطـــره
هـــدهديها بـــنبرةٍ عـــند نـــومٍ ثـــمّ مـــيلي فـــهدهديني بنـــبره
ضـــمّدي قلـــبيَ الجـــريحَ احتســـابا واجعـــليها لـــوالديكِ مـــبرّه

٢ - قصيدة (ذكريات مصطاف) نشرت في مجلّة العرفان:

يـــا ربـــوةَ الـــشام يـــا رمـــزَ المســـرّاتِ علـــى لياليكِ آلافُ الـــتحيّاتِ
مـــلأتِ عـــاطفتي لَـــطفاً وقـــد طفحـــت كـــأسي بـــها فـــاستفاضت أريحيـــاتي
مـــهما اتّـــجهتُ رأيـــتُ الحســـنَ منتشـــراً في الـــوردِ في النـــاسِ في جمـــعٍ وأشـــتاتِ
تـــنفّسَ الـــقلبُ مـــن آلامـــهِ ورمـــى عـــنهُ قـــيودَ مـــحيطٍ غـــاشمٍ عـــاتي
هـــذي الـــطبيعةُ بالبشـــرى تصـــاحبني وفـــي الأصـــيلِ تُـــحيّيني بـــلذّاتي
قـــرأتُ فـــي وجـــهكِ الفتّـــان منظـــرَه للـــحُسنِ أبـــدعَ إعـــجازٍ وآيـــاتِ
تـــدفّقَ الـــماءُ فـــي نـــهدَيكِ مـــتّشياً كعـــقدِ درٍّ عـــلى نـــحرٍ ولـــبّاتِ

* * *

لـــطفٍ كـــما تشـــتهيهِ الـــنفسُ دبَّ علـــى شـــغافِ قـــلبي فـــخفّت مـــنهُ أنّـــاتي
شـــلاّلكِ الـــعذب مـــن عـــالٍ يســـحُ علـــى رضـــراضِ درٍّ بأنـــغامِ مـــلذّاتي
كـــأنّ مـــجراهُ فـــي قـــلبي ورقّـــته مـــن رقّـــةِ الـــروحِ أو مـــن لطـــفِ «أبيـــاتي»
نـــسائمٌ عـــانقتني بـــعدما رقـــصت فصـــلاً مـــع الـــوردِ يســـبي الـــذاهبَ الآتي
وداعبـــتني لـــكن بـــعدما عـــبثتْ فـــي نـــهدِ خـــودٍ وفي أعطـــافِ غـــاداتِ
ســـاعات أُنـــسٍ أرى بـــخساً بقيمتهـــا لـــو قـــلتُ أفـــديكِ يـــا تلـــكَ الســـويعاتِ
مـــاذا لـــقي الـــعمرُ مـــن جـــرّاءِ طيلتـــهِ فـــي عـــالمٍ مـــا بـــهِ غـــيرَ الكـــدوراتِ
يـــا ربّ إن كـــان في الـــدنيا الجنـــان كـــذي فـــكم بـــدارِ الـــبقا روضـــاتِ جنّـــاتِ
جـــاءَ الـــربيعُ فـــهاجت ذكرياتـــك لي عـــهود أنـــسٍ عـــلى تلـــكَ النطاقـــاتِ
وعـــالماً مـــن جـــمالِ اللهِ صـــوّره لـــكي يـــرى خـــلقه بعـــض العنايـــاتِ
تـــموّج الـــحسن في زاهـــي شـــوارِعها وافتـــرَّ مـــبتسماً ثـــغرُ الـــجماداتِ
هـــذا الـــرصيفُ أطـــارَ الحُســـنِ طـــرّزه وذاكَ يطـــفو بأقـــمارٍ وهـــالاتِ

علـــى الرصـــيفينِ والأشـــجارُ مائلـــةً ... مـــاسَ الـــجمالُ بنهـــدٍ بـــارزٍ آتي

بـــدا كـــرمّانُ «ســـوريّا» مـــوردةً ... قـــانٍ وأبـــيضهُ مـــجلوّ مـــرآةِ

توسّـــطت «بـــردى» تنســـابُ صـــافيةً ... وذوّبـــت بـــرقيقِ الجـــري آهـــاتي

٣ - وله قصيدة بعنوان (تحيّة شاعر)، موجهة إلى الشاعر القروي رشيد سليم الخوري:

يـــا زهـــرةَ الجيلـــينِ بـــل يـــا ملتقـــى الـــ ... ـــــفكرينِ ذا مـــــاضٍ وهـــــذا آتِ

أحســـنتَ بـــل أبـــدعتَ في أغـــرودةٍ ... مـــنضودةِ الإيـــقاعِ والكلمـــاتِ

داعـــبتَ أوتـــارَ القلـــوبِ بنغمـــةٍ ... رقّـــت وفـــاقت أبـــدعَ النغمـــاتِ

تـــطفو عـــليها مســـحةً روحيـــةً ... فـــكأنّها مـــن جـــملةِ الآيـــاتِ

أفهـــلْ تـــرى كلمـــاتِ عيســـى أُنزلـــت ... أو أنّ مـــوسى جـــاءَ بـــالتوراةِ

أو قبســـةٌ مـــن نـــورِ أحمـــدَ أشـــرقتْ ... فـــانجابتِ الـــدنيا عـــن الظلمـــاتِ

* * *

يـــا شـــاعرَ الجيلـــينِ بـــل يـــا ملتقـــى الـــ ... ـــــروحينِ أحـــــمدَ والمســـــيح

صـــــرّحت عـــــن رأي وعقـــــ ... ـــــل الـــــمرءِ بـــــالرأي الـــــصريح

يـــــا شـــــاعرَ الفصـــــحى ومـــــا ... لـــــئ عصـــــرنا أدبـــــاً فـــــصيح

يـــــا نـــــاظمَ الـــــغيدَ الـــــملا ... ح وناثـــــــــرَ الأدبَ المـــــــــليح

بصبـــــــــاحةٍ مجلـــــــــوّة ... هـــــنّئتَ بـــــالوجهِ الـــــصبيح

* * *

يـــا شـــاعرَ الجيلـــينِ يـــا ملتقـــى الـــ ... ـــبحرينِ بحـــرُ عُـــلاً وبحـــرُ معـــاني

حـــلّق وأطـــلق للخيـــالِ عنانـــه ... فـــالأنتَ فـــينا فـــارسُ الميـــدانِ

وأَجِـــلْ خـــيالكَ في سمـــا آفاقِنـــا ... لـــتحقّقَ الآمـــالَ في الجـــولانِ

خضـــنا بحـــورَ الشـــعرِ لكـــن بحـــرك الـــ ... ـــــزخّارُ بـــــالآلاءِ والـــــمرجانِ

وتـــــراقصت أوزانُـــــهُ فتمايلـــــت ... هـــــذي الـــــقلوبُ برقـــــةِ الأوزانِ

فـــاسلم ودم فـــينا رشـــيداً ســـالماً ... بـــأعزّ حـــصنٍ شـــامخِ البنيـــانِ

٤ - وقال في تأبين شيخ الخطباء (الشيخ محمّد علي اليعقوبي):

حـــياتك كـــلّها غـــيثٌ عمـــيمُ ... ولفـــظكَ كـــلّهُ درٌّ نـــظيمُ

ونـــثرك يـــملأ الأجـــواءَ طيبـــاً ... كـــأنّ حـــروفهُ عـــطرٌ شمـــيمُ

مـــربّي الجيـــلَ أنـــتَ وكـــان حقّـــاً ... رثـــاؤكَ أيّهـــا الرجـــلُ العظـــيمُ

تـــذيعُ علـــى الـــورى ســـتّينَ عامـــاً ... دروســـاً نـــهجها جـــزلٌ قـــويمُ

وأنّكَ خالدُ الذكرى ويبقى حديثكَ تستطيبُ بهِ النسيمُ
أبا الأعوادِ والحكمِ اللواتي تمثّلَ فيهما الأدبُ الصميمُ
تَرِفُّ على روائعها قلوبٌ لرقّتها ويهتزُّ الجسومُ
رأيتكَ تسحرُ الألبابَ وعظاً فكانت في يديكَ كما ترومُ
وآلافُ الأنامِ إليكَ تصغى ووجهكَ لاحَ مطلعُهُ الوسيمُ
ودوّى صوتكَ المرهوب فيها كأنّكَ في اللقا أسدٌ هجومُ
وقد ضاقَ المكانُ بهم فضلّتْ على مرآكَ أرواحٌ تحومُ
مواقفُ لستُ أُحصيها بعدٍّ على الدنيا وهل تُحصى النجومُ

* * *

أبا الأعوادِ منبركَ المرجّى لنفعِ الناسِ يعلوهُ الوجومُ
فهل أسندتهُ لفتى أبيٍّ وهل أحدٌ يقومُ بما تقومُ
فمَنْ لشبابِ هذا العَصْرِ يهدي إذا عصفت بفكرتهِ السمومُ
تُجاذبهُ العوامِلُ ليس يدري على أيّ المبادئ يستديمُ
وجاءت موجةُ الإلحادِ يقفو خطاها الشرُّ والخطرُ الجسيمُ
أيا خطباءَ هذا العصرِ جدّوا فما بلغَ المرامَ فتى تؤومُ
فإنّ منابرَ الإسلامِ عطشى إلى خطباءٍ زانتهم علومُ
تُتوّجهم عقولٌ نيّراتٌ يكون سنادها الذوقُ السليمُ
ويمزجهم بهذا الشعبِ ذوقٌ كما امتزجَ المنادمُ والنديمُ
وإنّ شعارها الإخلاصُ مهما تجاهلت الأسافلُ والخصومُ
ليلمسَ منكمُ الشعبُ انطلاقاً إلى أُفقٍ جلت عنهُ الغيومُ
كفاكُمْ حربَ جسّاسٍ وصخرٍ وما تبكي الطلولُ أو الرسومُ
فما في عصركم قتبٌ وكورٌ ولا سلعٌ وربعٌ والغميمُ
أروهم حلوةَ الإسلامِ تزهو جوانبهُ ومنبعهُ العميمُ
وذا قرآنكمْ فيهِ كنوزٌ يحيرُ بوصفها اللبُّ الحليمُ
وكان بهِ اكتشافٌ وارتقاءٌ وكان بهِ الصراطُ المستقيمُ
أطبّاءَ النفوسِ وهل رضيتم لمجتمعٍ يعيثُ بهِ السقيمُ
وذي جذواتكم تخبو ويبقى يسودُ بجوّنا الفكرُ العقيمُ

فـــكونوا للمنـــابرِ صـــوتَ حـــقٍّ وســـيفاً لـــيس يـــعروهُ ثلـــومُ
خطيـــبُ القـــومِ أرجحهـــم كمـــالاً خـــبيرٌ بـــالسقامِ بـــهِ علـــيمُ
يكـــوَّن مـــن شـــظايا القلـــبِ وعظـــاً كـــأنّ عظاتـــهُ جمعـــت كلـــومُ[1]

٥ - قال في ذكرى مولد سيّد الشهداء الحسين عليه السلام:

باســمِ الحســينِ حلــتْ لنــا الأشــعارُ وســمتْ بــفضلِ سمــوّهِ الأفكــارُ
وتنــبّهتْ آمــالُنا وتــفتّحتْ فــرحاً كــما تــتفتّح الأَزهــارُ
وتــبسّمتْ دنــيا السّــرورِ مليئــةً بــالمبهجاتِ وأشــرقت أنــوارُ
وتــباشرت حــورُ الجنــانِ وهلّلــتْ لــجمالِ طــلعةِ وجهــهِ الأنظــارُ
هــذي الــثغورُ يحفّهــا استبشــارُ والــحفلُ يــعبَقُ نشــرهُ المعطــارُ
لــمّا أبــو الأحــرارِ أشــرقَ نــورُه أضــحت لــهُ تتباشــرُ الأحــرارُ
طــافَ الهَنــاءُ يُــديرُ كــأسَ مديحــه وتعــلّلت بــحديثهِ الــسمّارُ
اِســمُ الــحسينِ ومــا ألــذَّ حروفَــه فــكأنّهُ الــشهدُ الــحَلالُ يُــدارُ
ذكــرى إبــائَك عــزّةٌ وفخــارُ درسٌ بــهِ تــتحدّثُ الأعصــارُ
أمــا روى الــراوون بعــضَ فصــوله راحــت فــلاسفةُ الزمــانِ تُحــارُ
وتــيقّنوا أنّ الــحسينَ ونــهجَهُ لا جــورَ يــحكمهُ ولا اســتعمارُ
عــلّمتنا مــعنى الحيــاةِ بموقــفٍ فــيهِ تــمثّلَ عــزمُكَ الــجبّارُ
وأريــتنا أنّ الــمماتَ ســعادةٌ ولــدى المهانــةِ تــرخصُ الأعمــارُ
خــلّدتَ يعــربَ مــذْ عقــدتَ لهامهــا تــاجاً عــليهِ مــن عُــلاكَ وقــارُ
وكــسوتها حــللَ الخلــودِ وإنّهــا لا الــعصرُ يــبليها ولا الأدهــارُ
إنْ مــرّ ذكــرٌ للحســينِ تمثّــل الــ إعــظامُ والإجــلالُ والإكــبارُ
وإذا ذكــرتَ يزيــدَ تبصــرُ كومــةً مــن فــسقهِ يــطفو عليــهِ العــارُ
الــحقّ إشــعاعٌ يــلجُّ ضــياؤه عــبرَ الــقرونِ ونــورهُ ســيّارُ
فــبكلّ قــلبٍ نــبرةٌ لــشعورِهِ وبــكلّ نــفسٍ رنّــةٌ وشــعارُ
أكــذا يــدومُ الــحقُّ في أبطالــه أكــذا تــخلّدُ آلــهُ الأطــهارُ

---

(١) ذكر الأستاذ شبّر في كتابه (أدب الطفّ ١٠ / ١٤٢) أنّ هذه القصيدة قالها في رثاء الشيخ كاظم نوح، بينما ذكرت مجلّة الإيمان في عددها الخاص بالشيخ اليعقوبي ص٣١ أنّها في رثاء اليعقوبي، وإنّي أرى لا مانع من تكرارها في الشخصيّتين وإن نُظمت في إحداهما، والأقوى أنّه الشيخ كاظم نوح.

هـــــذا الـــــحسينُ ضـــــريحهُ نـــــوّارُ عـــــكفت بـــــعتبةِ بـــــابهِ الـــــزوّارُ
فـــــبكلّ نـــــفسٍ روعـــــةٌ لجلالِـــــه وبـــــكلِّ قـــــلبٍ مـــــرقدٌ ومـــــزارُ
تـــــسمو علـــــى فلـــــكِ الســـــماءِ قبابـــــه ويـــــشعُّ لـــــلقصّادِ مـــــنهُ مـــــنارُ
وتـــــحطُّ تـــــيجانُ الملـــــوكِ ببابـــــه ولـــــها مـــــلاذٌ في الحمـــــى وجـــــوارُ
تـــــنهارُ أعمـــــاقُ القـــــرونِ وذكـــــرُه بـــــاقٍ فـــــلا يـــــبلى ولا يـــــنهارُ
يـــــا زمـــــرةَ الجيـــــلِ الحـــــديثِ تيقّظـــــوا لـــــمصيركم خُلـــــقَ الزمـــــانُ مهـــــارُ
هـــــدفُ الحســـــينِ عليـــــه نبـــــني مجـــــدنا وبـــــضوءِ نهضـــــتهِ لنـــــا استبصـــــارُ
الـــــدورُ دوركـــــمُ خـــــذوا بنصـــــيبكمْ مـــــن قبـــــل أن تتصـــــرّمَ الأعمـــــارُ

٦ - قصيدة رائعة في مولد الرّسول الأعظم ﷺ بعنوان (أسرار المولد):

يـــــا محفـــــلَ الـــــذكرى لســـــيّد البشـــــر أذع فـــــتاريخُكَ تـــــاريخٌ أغـــــر
فـــــإنّما الـــــمولودُ فـــــيكَ أحـــــمدٌ مَـــــن حـــــرّر العقـــــلَ وأطلـــــقَ الفكـــــر
أذع فـــــهذا الـــــمنقذُ الأكـــــبرُ والـــــ مـــــشرّعُ الأعظـــــمُ والأبُ الأبـــــر
شـــــعّ عـــــلى الـــــعالمِ نـــــورهُ فـــــذا الـــــ ـــــتمدينُ مـــــن لـــــئلاءِ عقلـــــهِ ازدهـــــر
لـــــقد سمـــــا بـــــالعربِ حـــــتّى أذعنـــــت مـــــمالكُ الأرضِ لهـــــم بحـــــراً وبـــــر
وطأطـــــأت تـــــواضعاً لـــــعزّه جـــــباهُ قيصـــــرٍ وكســـــرى والخـــــزر
بجنبـــــكَ «الإيـــــوان» فاحفِـــــه الخـــــبرْ حقّـــــاً تـــــرى عنـــــد «جُهينـــــة» الخـــــبر
قـــــف وانظـــــر الشـــــقَّ بجنبـــــهِ غـــــدا آيـــــةَ إعجـــــازٍ علـــــى مـــــرِّ العُصـــــر
ســـــله وســـــائل شـــــرفاته ففـــــي صـــــموته تـــــقرأ أفصـــــحَ العـــــبر
لأيّ أمـــــرٍ حـــــلّ تـــــنشقّ ومـــــن قـــــلّصَ ذلـــــك النعـــــيمَ والبطـــــر
ونـــــار فـــــارس خبـــــت ألم تكـــــن مُـــــذ ألـــــف عـــــامٍ قـــــد تقادحـــــت شـــــرر
ســـــمعاً أبـــــا العُـــــرب وتاجهـــــا الـــــذي كـــــوّنَ مـــــنهم أُمّـــــةً ذات خطـــــر
وزجّـــــها نـــــحو الـــــخلودِ عاقـــــداً لـــــها لـــــواءً رفّ فـــــوقهُ الظفـــــر
وانـــــتشلَ الـــــعالمَ مـــــن تـــــدهورٍ يـــــؤولهُ الـــــلاتَ ويـــــعبدُ الحجـــــر
وبـــــاعثاً دســـــتورَ حـــــقّ يكـــــفِ للـــــ ســـــعادةِ الـــــكبرى بآيـــــاتٍ غـــــرر
لأنـــــتَ نـــــعمَ الحـــــظّ قـــــد كنـــــت لهـــــا لـــــكننّا بـــــئسَ الـــــعشير والنّفـــــر
يـــــا صـــــاحبَ النـــــورِ أضـــــعنا مبـــــدأً يـــــمشي مـــــع العقـــــلِ سمـــــوّاً وكـــــبر
تنـــــاوحتنا طغـــــمةٌ أجـــــلّها لـــــو قـــــلت أنّـــــها حثالـــــةُ البشـــــر
يـــــضيمني أنّ يـــــدي تـــــعافني وأنّ غـــــيري نـــــالَ في يـــــدي الـــــوطر

ما كنتُ بالمأسوفِ لو أنّ أخي ... يدري إلى أينَ وأينَ المستقر
ولا المضام لو تماسكت إذا ... ما قيلَ لي أنّ أخاكَ قد عثر
يا وترَ الساسةِ كم تطربهمْ ... أجل وضرب العودِ يقطعُ الوتر
يا محفلَ الذكرى أبن لمِنْ وعا ... مقامَ طه في الحديثِ والسور
علّمهمُ الغايةَ من تذكاره ... وسرّ هاتيك الرموز والدرر
أكان يُعلي قدرهُ وشأنه ... بعد ثناءِ اللهِ شعرُ من شعر
بموجةِ التصفيقِ يسمو شأوهُ ... وبالوفودِ زُمراً إثر زمر
ذي روح أحمدٍ وقد رفّت على ... حفلكمُ تطلبُ جوهرَ الأثرْ
ترى أضعنا الروحَ من أعمالنا ... وأنّنا قد اجتزينا بالصور
يا خابطَ السير تبصّر حسناً ... سيركَ معوجّ فكرّر البصر
الفخرُ أن يُقالَ شقّ للعلا ... طريقهُ ما الفخرُ عاث أو سكر
وطالباً إصلاحنا كفى بأن ... نأمنَ منكَ الاعتداءَ والضرر
هذي تجاربُ الحياةِ قد قضت ... أن نكتفي لا نبتغي خيراً وشر

٧ - وله غديريّة ألقاها في احتفال (منتدى النشر) في النجف عام ١٣٦٣ هـ:

لمَنْ الحفلُ رائعاً يتلالا ... يزدهي منظراً ويزهو جمالا
ولمَنْ هذهِ الروائعُ تُتلى ... والأناشيدُ باسمِ مَنْ تتولّى
قيلَ قد توّج الوصي وهذي ... بهجةُ التاجِ زانتِ الاحتفالا
وانتشقنا طيبَ الولايةِ منه ... وسعدنا بنعمةِ اللهِ حالا
واهتدينا بنورهِ مذ تجلّى ... بسماءِ الدينِ الحنيفِ هلالا
وعلى مشرع (الغديرِ) احتسينا ... في كؤوسِ الولا نميراً زلالا
وجديرٌ هذا الشعورُ بيومٍ ... فيهِ دينُ الإلهِ تمّ كمالا
رنّةُ الوحي في المسامعِ دوّت ... تملأ النفسَ هيبةً وجلالا
بلّغ الناسَ ما أتاك وإلاّ ... لم تبلّغ وحي الإلهِ تعالى
إنّما أنتَ منذرٌ وعليٌّ ... هو هادٍ يُسيّر الضُلاّلا
في فلاةٍ تكادُ تلهبُ ناراً ... ولظى حرّها يذيبُ الرمالا
وإذا بالرسولِ يلقى عصا السيـ ... ـرِ وتلكَ الجموعُ تلقى الرحالا
وتعالى الهتافُ منه أجيبوا ... داعي اللهِ فاستخفّوا عجالا
كسيولٍ جاشت وراءَ سيولٍ ... أو جبالٍ في السيرِ تقفوا الجبالا

زمـــرٌ قـــد تـــحاشدت حـــولَ طـــه ... حـــشدها يـــومَ مـــنه ترجـــو النـــوالا
غـــصّت الـــبيدُ واســـتحالت رجـــالاً ... ونـــواحي الـــفضاءِ ضـــاقت مجـــالا
ورقـــى مـــنبرَ الـــحدوجِ ومـــدّت ... نحـــوهُ الـــهامُ خـــضّعاً إجـــلالا
وانـــبرى يرســـلُ الخطـــابَ وذاك الـــ ... ـجمـــعُ مُـــصغٍ تـــهيّباً وامـــتثالا
ونعـــى نفـــسهُ وقـــالَ أتـــاني ... أمـــرُ ربّـــي وحـــثّني الـــترحالا
وأنـــا راحـــلٌ وبـــعدي عـــليٌّ ... واحـــدُ الـــدهرِ مَـــوئلاً ومـــآلا
سنّـــةُ الأنـــبياءِ قـــدماً تـــمشّت ... تـــقطعُ الـــدهرَ والـــقرونَ الطـــوالا
هـــل نـــبيٌّ مـــضى بـــغيرٍ وصـــيٍّ ... فـــاسألوا الـــدهرَ واســـألوا الأجيـــالا
خصّـــــهُ اللهُ بالإمـــــامةِ لمّـــــا ... كـــانَ لـــلحقِّ والـــرشادِ مـــثالا
هـــو أقـــضاكمُ وبـــابُ عـــلومي ... فـــاقَ فـــضلاً وبِـــذاكُمُ إفـــضالا
وهـــو فـــيكم مـــمثّلي ووصـــيِّ ... لـــعنَ اللهُ مَـــنْ عـــليه اســـتطالا
أُمّتـــي لا أراكـــمُ بـــعدَ مـــوتي ... قـــد رجـــعتم نـــواكصاً جـــهّالا
فـــاستجابوا وعـــجّت الـــبيدُ مـــنهم ... تـــحسبُ الأرضَ زلـــزلت زلـــزالا
ورســـولُ الـــهدى يـــردّدُ فـــيهم ... ربّـــي والـــي الـــذي لـــحيدرَ والا
عـــنهُ ســـل مـــحكمَ الكتـــابِ وســـائل ... آلَ عمـــرانَ واســـأل الأنـــفالا
مَـــنْ بـــبدرٍ وتـــلك أوّلُ حـــربٍ ... قـــد رآهـــا وقـــد أراهـــا الـــوبالا
مَـــنْ دحـــى البـــابَ مَـــنْ بأُحـــدٍ تلقّـــى ... عـــمدَ الـــدينِ حـــين زالَ ومـــالا
مَـــنْ قضـــى غـــيره علـــى الشـــركِ قـــل لي ... مَـــنْ لـــعمرٍ بـــيومِ صـــال وصـــالا
صـــولةً تـــفضلُ الـــعباداتِ طـــرّاً ... وسمـــا شأوهـــا وعـــزّ مـــنالا
ولـــكم مـــوقف يـــرنّ بـــإذنِ الدهـــ ... ـــرِ والدهـــرُ مـــنهُ يـــلقى انـــذهالا
هكـــذا فَـــلْتَكُ الـــبطولةُ دومـــاً ... (هكـــذا هكـــذا وإلاّ فـــلا لا)

٨ - وله في ذكرى ولادة الإمام الصادق عليه السلام:

يـــا قـــلمَ التـــاريخِ ســـجّلْ لنـــا ... يـــوماً مـــن الأيّـــام معـــدودا
أذعْ فـــذا يـــومٌ لـــهُ شـــأنهُ ... كـــانَ علـــى التـــاريخ مشـــهودا
حـــدّثْ عـــن الصّـــادقِ واســـتنطق الـــ ... ـــتاريخَ يـــروي الـــدُرَّ منضـــودا
وحـــدّث الـــعالَمَ عـــن عـــالِمٍ ... قـــد مـــلأ الـــدنيا أســـانيدا
تَـــبلى الأقـــاويلُ وأقـــوالُهُ ... باقـــيةٌ تـــزدادُ تـــخليدا
آراؤه الغـــرُّ وأفكـــارُه ... يـــعجزُ عنهـــا الحصـــرُ تعديـــدا

مـــا حـــدَّ أُفـــق العلـــم في غايـــةٍ ولا يـــــرى الـــــعالَمَ مـــــحدودا
شـــــتّان مـــــنْ يـــــفتَحُ أبوابـــــه ومَـــــنْ يـــــعدُّ البـــــابَ مســـــدودا
ســـلِ ابـــن حيّـــان وســـل غـــيرَه أئمّـــــةَ الـــــعلم الـــــصناديدا
مَـــنْ طبّـــق الـــدنيا ســـوى جعفـــرٍ معـــــارفاً تَـــــزدادُ تـــــرديدا
وســـلْ تـــلاميذَ لـــهُ أنّـــهم كـــانوا عـــلى الـــدّنيا أســـانيدا
هـــم فـــتحوا لـــلكيميا بابَـــه وكـــان منـــهُ البـــابُ موصـــودا
وخـــلّدوا الـــدهرَ بـــأقلامهم أفـــنوا ربـــيعَ العمـــر تســـهيدا
وخـــلّفوا أغـــلى تـــراثٍ لنـــا لـــو لم يكـــنْ في النّـــاس مجحـــودا

٩ - وله قصيدة بعنوان (يوم المحنة) قالها على إثر انتكاسة العرب في حرب حزيران ١٩٦٧، أُذيعتْ من دار الإذاعة العراقية، ووُضِعَتْ في المناهج الرسمية لمدارس المقاصد في لبنان، وهي:

يَـومٌ عـلى الـدهرِ لا يُطفـى لـه لَهَـبُ إنْ تـنسهُ العُـرْبُ مـا هـم بعـدهُ عُـربُ
وإن غفـت عـن طـلابِ الثـأرِ لا سـجعت يـوماً بـأمجادها الأقـلامُ والـكتبُ
عـهدي بـها لا تـقرّ الضـيمَ شـيمتُها حـتّى ولـو طالـتِ الأعـوامُ والحقـبُ
الـعيشُ بـالذلِّ مـرٌّ فـي تجرّعـه والـموتُ بـالعزّ حلـوٌ وردهُ عـذبُ
مـت إن تمـت قـاهراً والـنفسُ راضـية ولا تـمت صـاغراً والحـقُّ مُغتصـبُ
شـراذمُ مـن نـفايا الأرض تبعثهـا ثـعالبُ الـغربِ فـيها يشـهدُ الـذَّنَبُ
تـدوسُ أقـدسَ أرضٍ مـن معابـدنا ونـحنُ نـبصرها بـالرغمِ تُسـتلبُ
فـواجعٌ بـغّضت طـعم الـحياةَ لنـا وكـدّرت صـفو عـيشٍ فهـو مكتئـبُ
سـادَ الوجـومُ علـى الأقطـارِ وانكمشـت هـذي الوجـوهُ وعـمّ السـخطُ والصـخبُ
لا عـينَ في الشـرقِ إلاّ وهـي سـاهرةٌ ولا مـشاعرَ إلاّ وهـي تـضطربُ
تـجاوبت نـخوةُ الإسـلامِ طـائعةً وأعـلنت أنّـها طـوعٌ لـما يجـبُ
وألـهبت عزمـاتِ العُـربِ وانتفضـت حـميّةٌ فـهي كـالبركانِ تـلتهبُ
عـسى يكـون وراءَ الصـمتِ منطلـقٌ يُـجلى بـهِ الغـمُّ والأحـزانُ والكُـرَبُ
بـالأمسِ انـكلترا تُـدعى صـديقتَنا والـيوم قـد جاءنـا مـن ويلهـا الحَـرَبُ
مـاذا جـنيناهُ قُـل لي مـن صـداقتنا ظـهرٌ فـيُركبُ أو ضـرعٌ فيُحتلـبُ
وذي ربيـبتها بـل [قـل] ولـيدتُها ولا تـسل هـل لـها بـين الأنـامِ أبُ
قـد صـرّحَ الحـقّ وانزاحـت بـهِ الريـبُ وشـفّ عـن جـسمهِ ثـوبٌ لـهُ قُشـبُ

قــف بــي علــى الأردن المشــهود موقفُــه ... لألــثم الــجرحَ لــكنّ الــحشا يــجبُ
قــذائفُ الــنارِ عــاثت فــي محاســنِه ... وشــوّهت أوجــهاً تــستافها الــشهبُ
قــف بــي عــلى قبلــةِ الإســلامِ أســألها ... عــمّا جــرى مــن دواهٍ كلّهــا خطــبُ
ومــسجدِ الــصخرةِ الــمحزونِ منظــرُه ... بــالدمعِ والــدمِ مــطبوغٌ ومــختضبُ
قــد أوحــشَ المنــبرَ العــالي وقــد ذويــت ... أعــوادُهُ فهــي تــنعاهُ وتــنتحبُ
ثــمّ اســتمع رنّــةَ الــمحرابِ أحزنــه ... فَــقْدَ الــمصلّينَ مــذ طــلاّبهُ غربــوا
وحــيّ تــلكَ الــمروجَ الخضــرِ ناعيــةً ... أحــبابها فــهي ثــكلى خَــدُّها تَــرِبُ
يــا طــيبَ عــيشٍ علــى الــوادي بأمسـيةٍ ... رقّــت ورقّ الــهوى والمــاءُ والعُشــبُ
أبــناءَ عــمّانَ لا يــحزنكَ مــا ارتكبــوا ... فــالكأس ســكّابة طــوراً ومــنسكبُ
والعــربُ مــغلوبةٌ يــوماً وغــالبةٌ ... مــا كــلّ ســبّاقةٍ تــجري لهــا الغلــبُ
أدّيــت قســطك والأيّــام شــاهدة ... وإنّ يومــكَ فــيهِ تــفخرُ الــعربُ
ووقفــةٍ لأســودِ الــرافدينِ غــدت ... أرســى مــن الهضــبِ لا بــل دونهــا الهضــبُ
جــيشُ الــعراقِ وحــامي ســورَ منعتِــه ... إن ســارَ كــان لــهُ الإقــدامُ والغلــبُ
عــاشت دمــشقُ فــلا عُتــبٌ ولا عتــبٌ ... لقــد أرتــنا نــضالاً كــلّهُ عــجبُ
يــومٌ تــهجّم وجــهُ الــبغي وانبعثــت ... قــواذفُ الــشرّ يســري جيشــها اللجــبُ
نيــرانُهُ تمــلأ الأجــواءِ قــاذفةً ... لــهيبها ضــاقَ فــيها أُفــقها الرحــبُ
وتقتــفيها أساطيــلٌ مدمّــرة ... حتّــى إذا أخــذت لــلغابِ تــقتربُ
هبّــت مغــاويرُ ســوريّا مــشمرةً ... كــالأُسدِ لــم يــثنها خــوفٌ ولا رهــبُ
فــهل رأيــتَ أُســودَ الــغابِ مغضــبةً ... دونَ الــحمى أرأيــتَ الــليثَ إذ يثــبُ
أبــناء يــعربَ جــدّوا فــي عــزائمكمْ ... فــالأمرُ قــد جــدّ والأســماعُ ترتقــبُ
وإنّ أحســابكم أمســت تُــطالبكمْ ... فــحقّقوا أمــلاً يــسمو بــهِ الــحسبُ

١٠ - وله في رثاء الخطيب الشهير الشيخ محمّد علي قسّام، يقول السيّد جواد شبّر في أدب الطفّ ١٠ / ٦٥:... وكان يوم ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٤، يوم مجيء جثمانه للنجف من الأيّام المشهودة؛ فقد أُقيمت على روحه عدّة فواتح، كما تبارى الخطباء والشعراء يوم أربعينه في (مسجد الهندي) بالنجف، وكنتُ ممّن شارك بقصيدة مطلعها:

ســند الشــريعة في جميــعِ الأعصــرِ ... هــذي الروائــعُ مــن خطيــبِ المنــبرِ
ذاك الــذي يُمســي ويُصــبح ناشــراً ... عــلمَ الــجهادِ كقائــدٍ في عســكرِ
أمــعلّم الأجــيالِ تنشــرُ جــوهراً ... فــكأنّ صــدركَ معــدنٌ مــن جــوهرِ

يـــا مـــنبرَ الإســـلامِ دمـــت متوّجـــاً ... بـــالأنجبينَ وكـــلّ ليـــثٍ قســـورِ
يـــا مـــنبرَ الإســـلامِ دمـــت منـــوّراً ... طـــولَ الزمـــانِ بكـــلّ عقـــلٍ أنـــورِ
يـــا منـــبرَ الإســـلامِ دمـــت مضـــمّخاً ... بـــالرائعاتِ مـــن الفـــمِ المتعطّـــرِ
ومجـــالسٍ هـــي كالمـــدارسِ روعـــةٌ ... أمٌّ لكـــلّ مهـــذّبٍ مـــتنوّرِ
الـــمنبر الـــعالي رســـالة مرشـــدٍ ... جـــاءت لـــعقلِ النابِـــهِ المتحـــرّرِ
الـــمنبر الـــعالي حكـــيمٌ مبصـــرٌ ... يصـــفُ الـــدواءَ بحكمـــةِ المتبصّـــرِ
يـــا فـــارسَ الميـــدان عـــزّ عَلَـــيّ أن ... تهـــوي وحولـــكَ ســـابغاتِ الضـــمّرِ
يـــا مَـــنْ إذا أرســـلت لفظـــك لؤلـــؤاً ... جـــرتِ الـــعيونُ بلؤلـــؤٍ متحـــدّرِ
أو قمـــت في أعلـــى المنـــابرِ خاطبـــاً ... فـــكأنّ قولـــكَ ريشـــةٌ لمصـــوّرِ[1]

١١ - ومِن روائع شعره القصيدة التي حيّا بها الإمام المصلح الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء عند عودته من مؤتمر باكستان عام ١٣٧١ هـ[2]:

كـــذا يـــلمعُ الـــقمرُ الـــنيّرُ ... كـــذا يـــنهضُ المصـــلحُ الأكـــبرُ
كـــذا ترتقـــي عاليـــاتُ النفـــوس ... وهـــامُ الأثـــيرِ لـــها مـــنبرُ
كـــذا يعـــذبُ العمـــرُ في مثـــل ذا ... وإلاّ فـــما قَـــدْرُ مَـــنْ عَمّـــروا
كـــذا يشـــمخُ العلـــمُ فـــوقَ السُّـــها ... فمـــا عـــرشُ كســـرى ومـــا قيصـــرُ
أشـــيخَ الـــشريعةِ بـــل رمزهـــا ... ومـــفخرها عـــشتَ يـــا مفخـــرُ
أُقـــدّسُ شـــخصك إذ إنّـــه ... مـــثالُ الـــكمالِ مـــتى يـــذكرُ
إذا مـــا انتســـبتَ إلى «جعفـــرٍ» ... فـــحسبكَ مـــنتسباً «جعفـــرُ»
لأن حـــسبتك الـــورى واحـــدا ... «ففيـــك انطـــوى العـــالمُ الأكـــبرُ»
نـــهضتَ لتجلـــوَ ريـــنَ القلـــوب ... وتـــوقظَ جـــيلاً بـــدا يشـــعرُ
نهضـــتَ وبُوركـــتَ مِـــن نـــاهضٍ ... فـــما وثـــبةُ الأســـدِ إذ تـــزأرُ
وأبلغـــتَ في النصـــحِ في مجمـــعٍ ... تـــجدّدُ تـــاريخهُ الأعـــصرُ
وهـــزّ صـــدى صـــوتك المشـــرقين ... ودوّى كقاذفـــةٍ تفـــجرُ
حـــياةَ الـــشعوبِ بـــأبطالها ... وتـــاريخها مـــجدها الأزهـــرُ
إذا جـــمعَ النـــاسَ «نـــيروزُهم» ... فـــنيروزنا وجـــهكَ الأنـــورُ
فطـــرت ولـــكن بـــآمالنا ... ورحـــت بـــأرواحنا تـــعبرُ

---

(١) القصيدة بكاملها نشرتها مجلّة العرفان اللبنانيّة مجلّد ٤١ ص١١٦٤.

(٢) أدب الطفّ ١٠ / ٤٩.

فـــــحدّث أبـــــا الصـــــالحاتِ الـــــتي تـــــعالت ســـــناءً فـــــلا تســـــترُ
تـــــحدّث إلـــــينا فكـــــلّ الحـــــواس شـــــعورٌ وأكـــــبادنا حـــــضّرُ
أتـــــينا لـــــنصدرَ عـــــن مـــــوردٍ ومـــــنكَ حلـــــى الـــــوردُ والمصـــــدرُ
تـــــحدّث فـــــهذي القلـــــوب الـــــتي تـــــرفرفُ جـــــائتكَ تـــــستخبرُ
تلـــــقّتكَ تـــــفرشُ أكـــــبادها وخفّـــــت لـــــلقياكَ تـــــستبشرُ
تـــــحدّث ألـــــستَ أميـــــرَ البيـــــان إذا مـــــا جـــــرى لفظـــــهُ يســـــحرُ
أَبِـــــنْ لـــــلوفودِ عـــــن المســـــلمين فـــــمثلكَ لـــــلجرحِ مَـــــنْ يســـــبرُ
أَبِـــــنْ فالحـــــديثُ حـــــديثُ الشـــــجون ومـــــن وقـــــعهِ القلـــــبُ يســـــتعبرُ
فـــــكيف تلمّســـــتَ شـــــرعَ الهـــــدى وهـــــل مـــــن أمـــــانٍ بهـــــا تســـــمرُ
كـــــأنّي بـــــروحِ النـــــبي الكـــــريم عـــــلى كـــــثبٍ نـــــحونا تنظـــــرُ
مـــــتى هـــــانَ شـــــعبك يـــــا مصـــــطفى مـــــتى ذلّ قومـــــك واســـــتُعمروا
مـــــتى طأطـــــأت جبهـــــةُ الفـــــاتحين لـــــذلّ اليهـــــودِ إذا استصـــــغروا
أيـــــا قـــــالعَ البـــــابَ بـــــابَ اليهـــــود ويـــــا فـــــاتحَ الحصـــــنَ يـــــا حيـــــدرُ
تـــــداعت لـــــتدرك أوتـــــارها وأنـــــتَ عـــــلى ردّهـــــا أقـــــدرُ
أبـــــا الشـــــرعِ هـــــذي يـــــدٌ بـــــرّة يـــــوافيكَ فـــــيها الفـــــتى (شـــــبّرُ)

١٢ - وقال في تأبين الشاعر أحمد الصافي النجفي:

مـــا جئـــتُ أرثيـــكَ أو أذري الـــدموعَ أســـىً إنّ الـــرثاءَ لـــشخصٍ مـــاتَ واندرســـا
قـــالوا لـــقد مـــاتَ قلـــتُ اليـــومَ مولـــدُه ونـــجمهُ قـــد تـــجلّى يـــطردُ الغلســـا
والـــيوم يـــبدأ تـــاريخٌ لـــهُ عـــبقٌ وطـــيبُ تـــأريخه قـــد أنعـــشَ الجُلَســـا
مـــا الـــحيُّ مقياســـهُ مـــرُّ الســـنين ولـــو طـــالَ الـــبقاءُ ولا تـــردادهُ النفســـا
إنّ الحـــــياةَ بأفـــــكارٍ يخـــــلّدها عـــــبرَ العصـــــورِ وغرســـــاً صـــــالحاً غرســـــا
وآخـــــذاً بيـــــدِ الـــــعافي ومـــــنقذه ســـــواء أحـــــسنَ هـــــذا أم إلـــــيه أســـــا

* * *

مـــا كـــان أحمـــدُ في عصـــرٍ يعـــيشُ بـــه إلاّ كـــشعلةِ نـــورٍ تـــحملُ الـــقبسا
يعـــيشُ في النـــاسِ لكـــن روحُـــهُ انفـــردت عـــنهم كمَـــنْ عـــاشَ بـــين الخلـــقِ محتبســـا
ســـــما إلى عـــــالمٍ أســـــمى بفكرتـــــه لـــــذاك مـــــهما خـــــلا في نفســـــهِ أنســـــا
فـــــلا تـــــرى مـــــعهُ في بيـــــتِ عزلتـــــه إلاّ الـــــيراعة أَمَّ الـــــشعرُ والطرســـــا

* * *

إيـــهٍ أبـــا الـــخالداتِ النـــيّراتِ ســـنا ... والـــسائراتِ أقـــامَ الـــدهرُ أم جلســـا
هـــذي روائـــعك الـــغرّا يـــردّدها ... فـــمُ الزمـــانِ ومـــن أنوارهـــا اقتبســـا
أمـــواجُها انـــدفعت تـــتلو أشـــعّتها ... تـــجلي العقـــولَ ومنهـــا تغمـــرُ اليبســـا
وذي الهـــواجسُ مـــا أحلـــى هواجسَـــها ... تـــداعبُ الـــروحَ إن دقّـــت لهـــا جرســـا
رفّـــت تـــناغيك هـــمساً في تـــدلّلها ... والحـــبّ يعـــذبُ إن نـــاغى وإن همســـا
أشعّـــةٌ فـــي مـــعانيها مـــلوّنةٌ ... إشـــعاعها مشـــرفٌ عـــن روحـــك انعكســـا
إن كنـــتَ حلّقـــت أو أبـــدعت لا عجـــبٌ ... قـــرآنُ أحـــمد قـــدماً حـــيّر القســـسا
وأذعـــنت لـــغةُ الفصـــحى لروعتـــه ... وعـــادَ مـــنطيقها مـــستسلماً خرســـا
الـــناظمُ الـــدرَ نـــظماً لا نظـــيرَ لـــه ... بالشـــعرِ ينبوعـــهُ الصـــافي قـــد انبجســـا
والمرســـلُ الشـــعرَ ســـهلاً غـــير ممتنـــعٍ ... ســـلساله العـــذبُ يجـــري ســـائغاً سلســـا

* * *

زَهـــدتَ فـــي هـــذه الـــدنيا وزخرفِهـــا ... إذ أنـــت أرفـــع ممّـــن يرتضـــي الدنســـا
وكـــنت تـــهزأ ممّـــن راح يعشـــقها ... ومَـــنْ بـــأوطارها قـــد ظـــلّ منغمســـا
نـــفسٌ تـــرى فـــوق هـــام الـــنجم رفعتَهـــا ... وبـــزّةٌ إذ تـــراها بـــزّة الـــبؤسا
تريـــــهمُ إنّ دنـــــياكم وبـــــهرجَها ... كـــشملتي هـــذه مـــن ســـامها بخســـا
لاويـــت دهـــرك حـــتّى رضـــت جامحـــه ... كـــمن يـــروِّضُ مـــن فرســـانها فرســـا
بـــعزمة شـــهد الـــتأريخُ واقـــعها ... مـــا كـــنتَ هـــيّابةً يومـــاً ولا نكســـا
عـــرفت دنـــياك مـــذ وازنـــت قيمتهـــا ... وإنّـــها عـــرفتك الـــنيقد الـــمرسا
وكـــم دعتـــك لِوصـــلٍ وهـــي ضـــاحكةٌ ... لـــكن رأتـــك علـــى مـــا تبتغـــي علبســـا(*)
رحمـــاك ليســـت نفـــوس النـــاس واحـــدةً ... إن خـــفّ ذاك فهـــذا في الوجـــود رســـا
هـــذي الـــحياة وكـــم غـــذّيتها حكمـــاً ... غـــرّا وأرســـيتَ مـــن أركانهـــا أســـسا
فـــكنت تـــشبعها بـــحثاً وتـــجربةً ... وكـــنت تـــنشرها درســـاً لمـــن درســـا
وتـــوضح القـــول مجلـــوّاً ومزدهـــراً ... فـــلم يـــعد بـــعد فيهـــا الأمـــر ملتبســـا
دُمْ لـــلخلود فـــذي الأيّـــام طوعـــك والـــ ... ـــدهرُ اســـتلان وإن قـــدماً عليـــك قســـا

١٣ - وقال محيّياً الشيخ الأميني صاحب (الغدير) بمناسبة افتتاح مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامّة في النجف، بعنوان (تحيّة المؤسّسة الفكريّة):

مـــعهد الفكـــرِ طـــاولَ الـــدهرَ فخـــرا ... ذاك يـــبلى وأنـــتَ تخلـــدُ ذكـــرى
كـــلُّ شـــيء فـــانٍ ســـوى العلـــم والعمـــ ... ـــلِ فـــإن شـــئت ســـل بـــإيوان كســـرى
ســـاندت ركـــنك القـــديم يـــدُ العلـــ ... ـــمِ فـــلا زلـــت خـــالداً مـــشمخرّا

(*) هكذا وردت المفردة الأخيرة (علبسا)، ومعها يختل المصراع الثاني من البيت. **(موقع معهد الإمامين الحسنَين)**

منجبـــاً كـــلّ أصـــيد يبعـــث النشـــ ـــأ يـــقود الأجيـــال عقـــلاً وفكـــرا
منجبـــاً كـــلّ أصـــيد يجعـــل الدّهـــ ـــرَ غـــلاماً لـــديه نـــهياً وأمـــرا
وبـــرغم الزمـــان جئـــت ويبقـــى لـــك عبـــداً وأنـــت لا زلـــت حُـــرّا

* * *

عـــشت يـــا صـــرحُ للعلـــوم منـــاراً فـــاض أشـــعاعُه علـــى الكـــون بـــدرا
همّـــةُ المصـــلح (الأميـــنيّ) ثـــارتْ فـــاستثارت لـــها الـــعزائمُ طـــرّا
قـــد أشـــادتك بـــعد جـــهدٍ جهيـــدِ كـــرعت في ســـبيلك الصّـــاب مُـــرّا
ضـــربت فـــوقك القلـــوبُ رواقـــاً يـــوم قـــدّت مـــن العـــزائم صـــخرا
بـــسطت مـــن شُـــغافها لـــك أرضـــاً وبـــنت فـــي ضـــلوعها لـــك وكـــرا
ثـــمّ راحـــت عليـــك تحنـــو احتفاظـــاً مـــثلما تـــحفظ الأضـــالع ســـرّا
معهـــد الفكـــر هـــل علمـــت بـــأنّ الشيـــ ـــخَ أفـــنى مـــن أجـــل عمـــرك عمـــرا
ومـــشى ثـــابت الخُطـــى بـــاتّزانٍ أشـــبع الـــدهرَ خـــبرةً ثمّ ســـبرا
هـــازئاً بـــالخطوب تعـــرف منـــه إنّ فـــي أمـــره مـــع الله ســـرّا
أي أبـــا الطيّبـــات أحـــييت فـــينا أمـــلاً كـــاد أن يـــبدّد صـــبرا
يـــوم ضـــاق الفضـــا قنوطـــاً ولكـــن فـــاض مـــن راحتيـــك يمنـــاً ويســـرا
قـــد أرتـــنا الأيّـــامُ حمـــر المنايـــا وتـــرينا أنـــت الأمـــانيَ خضـــرا
بـــمساعيك قـــام لـــلعلم صـــرحٌ عـــشت لـــلعلم والـــديانة ذخـــرا
هـــمّةٌ تـــدفع الـــسماء وعـــزمٌ يـــسع الـــكون مـــذ يـــنفذ أمـــرا
لـــك فـــي الـــصالحات غـــرُّ أيـــادٍ ويـــدٌ في (الغـــدير) بيضـــاءُ غـــرّا
وحقـــيقٌ أقـــول إنّـــك فـــينا رابـــح الـــنشأتين دنـــياً وأُخـــرا

١٤ - ودخل يوماً عائداً الخطيب المعروف السيّد علي الهاشمي على إثر وعكة صحيّة، فخاطبه:

مـــتى كـــان في الظـــنّ أنّي أراك ألـــيف الـــفراشِ حليـــفَ الأَلمْ
مـــتى حوّمـــت حولـــك الواهمـــات مـــتى نـــهشتك نيـــوبُ السّـــقمْ
مـــتى زعزعتـــك ســـوافي الرّيـــاح وعـــهدي بـــك طـــودٌ أشَـــمْ
ألـــست المعـــاني الّـــذي يمتلـــي نـــشاطاً يزينـــك لطـــف الشّـــممْ
وثغـــرك ذاك الضـــحوك الوقـــور يعـــطّر أجـــواءنا بـــالنّسمْ

فأجابه السيّد علي الهاشمي:

هـــــــزار الـــــــغريّين أتـــــــحفتني ... بـــــــغرّاء تـــــــذهب عـــــــنّي السّـــــــقمْ

نـــــــظمت قـــــــوافيها كـــــــالعقود ... فـــــــنعم الـــــــمنظّم والـــــــمنتظمْ

فقـــــــبّلتها بفـــــــم الامـــــــتنان ... مـــــــقلٌ لـــــــتقبيلها ألـــــــف فـــــــمْ

وجـــــــلت بـــــــبحرٍ تـــــــقاطيعها ... بـــــــمطرفةٍ دمـــــــعُها مـــــــنسجمْ

ومـــــــا ذاك إلاّ اشـــــــتياقٌ إليـــــــك ... لأنّـــــــك أنـــــــت الـــــــذي لا تُـــــــذمْ

فـــــــدم «يـــــــا جـــــــواداً» بكـــــــلّ الصِـــــــفات ... ويـــــــا عـــــــلماً رفّ فـــــــوقَ العلـــــــمْ

وإنّـــــــي لأكـــــــبر هـــــــذا الحنـــــــان ... فـــــــحبّك لي مـــــــن جليـــــــل الـــــــنِّعمْ

شعر التاريخ عند الخطيب شُبّر

١ - قال في تاريخ وفاة والده السيّد علي شبّر:

يـــــا أيّـــــها الـــــسائلُ عـــــن تاريخِـــــه ... مضـــــى وأبقـــــى العمـــــلَ الأبقـــــى علـــــي[1]

٢ - وأرّخ فقيد الشباب السيّد نعيم الدين ابن السيّد عبّاس شبّر:

حـــــــملتُ لـــــــقبره إكليـــــــلَ وردٍ ... وحـــــــنَّ القلـــــــبُ مِـــــــن شَـــــــغَفٍ وأنّـــــــا

وقلـــــــتُ لأدمعـــــــي ســـــــقياً فـــــــدهري ... عـــــــلينا بـــــــالفراق لقـــــــد تجـــــــنّى

فنـــــــادتني احتـــــــبِسْ للـــــــدمع عينـــــــاً ... فـــــــذا مـــــــاءُ الشـــــــباب يفـــــــيض عينـــــــا

وذا تـــــــاريخه يـــــــزهو بهـــــــاءً ... نـــــــعيمٌ لـــــــلنعيم مضـــــــى مُهنّـــــــا

٣ - وقال في تاريخ تمديد رئاسة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى للإمام السيّد موسى الصدر:

زهـــى المجلـــسُ الشـــيعيُّ والصـــدرُ زانـــه ... بـــطلعته الـــغرّاء يـــرفلُ مـــأنوسا

فـــعوّذته بـــالعزّ مـــن آل هـــاشمٍ ... بـــأربعِ عـــشرٍ تـــدفع الضـــرَّ والبؤســـا

أضـــفناهمُ لـــليمنِ مـــذْ قيـــلَ أرّخـــوا ... وقـــلنا لـــقد أُوتيـــت ســـؤلك يـــا موســـى

٤ - وقال مؤرّخاً بناء حسينيّة الزهراء عليها السلام في المنصوريّة (الكويت):

دارٌ لأهـــل البيـــت تســـمو عـــلاً ... لـــله فـــيها بـــعضُ أســـراره

شـــعّتْ بنـــورِ الســـبطِ مـــذ أرّخـــوا ... تـــرفُّ إشـــعاعاً بـــأنواره

٥ - وقال مؤرّخاً وفاة العلاّمة الشيخ حسين الفيلي رحمه الله:

فـــي يـــوم عاشـــوراءَ فارَقْتَنـــا ... وقـــد بكتـــهُ الســـحبُ دمعـــاً صـــيّبا

---

(١) المقصود كتاب (العمل الأبقى في شرح العروة الوثقى) - للسيّد علي شبّر.

ذاك الحسينُ واحدُ الفضلِ الذي تاريخهُ نورُ حسين غُيّبا

٦ - وقال في تاريخ تزيين المرقد المطهّر للإمام علي عليه السلام بالمرايا والزجاج البديع:

مرآةُ قدس الله شعَّ سناؤها فتموّجتْ بزجاجةِ المرآةِ
قال الموحّدُ فيه أرّخ زاهياً مصباحُ نور الله في المشكاةِ

نشاطاته الأخرى

١ - المباراة الدوليّة الثقافية للتأليف حول شخصيّة الإمام علي عليه السلام: هذا المشروع التاريخي طرحه السيّد على الوجيه السيّد هاشم شُبَّر رحمه الله، وهو تخصيص جوائز نقديّة لكلّ مَنْ يؤلّف كتاباً حول شخصيّة الإمام علي عليه السلام على أن يفوز من خلال المباراة.

وكان السيّد أميناً لسرّ اللجنة المنظّمة للمسابقة، فوجّه نِداءً لأرباب الفكر والأدب في العالم بعد ما أعلن برنامجه، وتشكّلتْ اللجنة المحكّمة، وكانت تتألّف مِن أفذاذ العلم والوعي والتُقى، الأعلام الثلاثة: الشيخ مرتضى آل ياسين، والسيّد محمّد باقر الصدر، والسيّد موسى بحر العلوم، فقُدّمت الكتب مِن قبل مؤلّفيها، فكانت النتائج كما يلي:

الفائز الأوّل: كتاب (الإمام علي - نبراس ومتراس) لمؤلّفه الكاتب اللبناني المعروف الأُستاذ سليمان كتّاني، وهو رجل مسيحي.

الفائز الثاني: كتاب (ملامح من عبقريّة الإمام) بقلم الدكتور مهدي محبوبة.

الفائز الثالث: كتاب (الإمام علي - رجل الإسلام المخلّد)، تأليف الأُستاذ عبد المجيد لُطفي.

ومن الكتب التي وقع الاختيار على طبعها كتاب (الإمام علي - أسد الإسلام وقدّيسه) للكاتب (روكس بن زائد العزيزي) رئيس رابطة حقوق الإنسان في الأُردن، وهو مسيحي.

٢ - اهتمامه بالشعراء الشعبيين وتشجيعهم على الكتابة في رثاء سيّد الشهداء، وقد قرّض الديوان الشعري لكلّ مِن:

أ - الحاج محمّد باقر الإيرواني - شعراء الحسين عليه السلام.

ب - الشاعر المرحوم هادي القصّاب - ديوان الهداية الحسينيّة.

ج - الخطيب المرحوم الشيخ محمّد حسن دكسن - الروضة الدكسنيّة.

د - الحاج زاير - الشاعر الشعبي العراقي.

هـ - السيّد الشرع - منهل الشرع.

٣ - اهتمامه ببناء وتشييد مراقد وأصحاب أهل البيت عليهم السلام كسعيه لبناء مرقد زيد الشهيد عليه السلام، ومرقد رشيد الهجري، وكميل بن زياد وغيرهم مِن الأفذاذ والمظلومين؛ فقد كان

يبذل لعمرانها من ماله الخاص.

٤ - تحقيقه لبعض الكتب العظيمة ونشرها؛ فقد اعتنى السيّد بنشر ديوان (جواهر وصور) للفقيه السيّد عبّاس شبّر، وإخراجه أجمل إخراج بحلّة قشيبة وورق مؤطر بإطار ملوّن جميل يحيط بالقطعة الشعريّة، كما إنّه جمع وطبع وأشرف على إصدار ديوان (الموشور) للسيّد عبّاس شبّر ﷺ.

وقد كان للسيّد جواد الدور الرائد في صدور كتاب (الأخلاق) للسيّد عبد الله شبّر الذي عنى بنشره وطبعه. أمّا كتاب (تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين - للراغب الأصفهاني) فقد عنى السيّد بنشره وإصداره؛ لأهمّيّته العلميّة.

٥ - على صعيد الإصلاح: السيّد جواد شبّر كان من الروّاد الأوائل لحركة الإصلاح المنبري والاجتماعي. يقول في مقال كتبه تحت عنوان (الوعي نواة الإصلاح) في مجلّة الوعي الإسلامي: من أعذب الكلمات على السمع والروح كلمة الإصلاح، إنّها خفيفة على المشاعر، لطيفة في الأحاسيس، يترشّفها السامع ويتمنّى تحقيقها، ويتغنّى بها المجتمع ويهوى تطبيقها، لكن تختلف الآراء في الطريق المؤدّية إليها والوصول إلى أهدافها.

فالبعض يرى ذلك منحصراً في تسليم القيادة إلى موجّه حكيم، وهو الذي يقود الأُمّة إلى ساحل السلامة والنجاة، أمّا عقيدتي فهي أنّ أقرب الطرق إلى الإصلاح هو إيجاد الوعي العام في الأُمّة واليقظة في الشعب، والعمل على أن يشعر الكلّ بواجب المسؤوليّة، ولا يتحقّق ذلك إلاّ عن طريق الكتابة والخطابة، وتعاون الفرد والجماعة؛ فـ ((كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته))[١].

أمّا محاولاته الإصلاحيّة فيما يتعلّق بمؤسسة المنبر الحسيني فلقد كان من المبادرين السباقين لصيانة هذه المؤسسة الكبرى من الفوضى والترهّل، وحمايتها من الانحدار والتسيّب، ووضع الأسس والضوابط للانطلاق بها إلى مستوى المسؤوليّة، والارتقاء إلى مصاف المؤسّسات الإسلاميّة الهادفة.

يقول الخليلي في ترجمة الشيخ محمّد علي اليعقوبي أثناء حديثه عن الدعوة إلى إصلاح خطباء المنابر: وكان من أنشط العاملين في حلبة الإصلاح والدعوة إلى تهذيب الخطباء هو الخطيب السيّد جواد شبّر؛ ففتح في مدرسة المنتدى صفّاً خاصّاً بتعليم الخطباء فنّ الخطابة، وتهذيب الأخبار التي يروونها، وإعدادهم إعداداً يتّفق وروح العصر[٢].

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي الكويتيّة، السنة الأُولى - العدد الثاني سنة ١٩٦٥ م.

(٢) هكذا عرفتهم - للخليلي ١ / ١٥٩، ومجلة الإيمان، عدد خاص في ذكرى اليعقوبي، سنة ١٣١٢ هـ.

ولعمر الحقّ أنّ هذه المهمّة الشاقّة نحن بأمسّ الحاجّة إلى مَنْ يشمّر عن ساعد الجدّ ويتصدّى لتهذيب وتقويم هذه المؤسسة الهامّة؛ لئلاّ تكون مرتعاً سهلاً لمنْ هبّ ودبّ، وسوقاً سوداء للمتاجرين بدماء الحسين عليه السلام ونبل أهدافه وشرف قضيّته[1].

مؤلّفاته

للسيّد عدّة كتب ألّفها في حياته المعطاءة، وهذه أهمّها:

١ - إلى ولدي: كتاب في الأدب التربوي، جمع فيه عيون الشعر لأساطين الشعراء، طُبِع الطبعة الأُولى في النجف سنة ١٩٥٤ م، ثمّ أعدتُ طبعه (مصوراً) في قم سنة ١٩٨٤ م.

٢ - قبس مِن حياة أمير المؤمنين عليه السلام: وُزّع على الجمهور الذي شارك في الاحتفال بمناسبة ميلاد الإمام الحسين عليه السلام في النجف الأشرف.

٣ - أشعة مِن حياة الصّادق عليه السلام: قُدّمَ هدية للمحتفلين بمولد سيّد الشهداء سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م في النجف الأشرف.

٤ - مقتل الحسين عليه السلام - عبرة المؤمنين: وهو الكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم.

٥ - المطالب النفيسة: يقع في ثلاثة مجلّدات في التراجم والأخلاق والفلسفة الإسلاميّة (مخطوط).

٦ - شواهد الأديب: مختارات شعريّة في ثلاثة أجزاء (مخطوط).

٧ - المقتطفات: نوادر وحكم وأدب في جزئين ضخمين (مخطوط).

٨ - شعراء العصر الحاضر (مخطوط).

٩ - سوانح الأفكار في منتخب الأشعار: ثلاث مجلّدات في مدح ومراثي أهل البيت عليهم السلام (مخطوط)[2].

١٠ - المناهج الحسينيّة: مجموعة مجالس قرأها في لبنان - مجلد واحد طبع في بيروت ثمّ أُعيد طبعه في قم.

١١ - ديوان شعره: وفيه كثير من المراسلات والمساجلات، والقطع المستملحة والأوصاف البديعة[3] (مخطوط).

---

(١) معجم الخطباء ١ / ٣٣٠.

(٢) مشهد الإمام ٣ / ١٦٠.

(٣) شعراء الغري - للخاقاني ٢ / ٤٧٣.

١٢ - أدب الطفّ أو شعراء الحسين - طُبع منه ١٠ أجزاء.

١٣ - الإسلام دين ودولة - ٣ مجلّدات (مخطوط).

١٤. الأخلاق الإسلاميّة - ٣ مجلّدات (مخطوط).

موقف بطولي وتأريخي

هنالك موقف تاريخي للسيّد الوالد ذكرته للأخ السيّد داخل، فدوّنه في موسوعته (معجم الخطباء)[١] قائلاً: (يقول النجلُ الأصغر لسيّدنا المترجم الخطيب السيّد أمين عن أحد معارفه إنّه التقى في الهند بأحد عملاء النظام، وكان يتولّى تعذيبه عندما كان سجيناً، ولكنّه لم يعرفه لتغيير ملامحه، فاتّصل به وتظاهر بأنّه من الموالين للنّظام، وسأله عن بعض المساجين وبينهم السيّد جواد شبّر، فقال: إنّ أمر هذا الرجل لعجيب؛ فقد اجتمع مدير الأمن بضباطه ذات يوم ودار الحديث حوله وكيفيّة التعامل معه، وأخيراً قرّروا استمالته وتقديم العروض المغرية لتبديل موقفه، فاجتمعوا به وتحدّثوا معه بأنّك شخصيّة عراقية هامّة، ولك المواقف المشهودة، والخطب المؤثرة، والكلمة المسموعة في أوساط الشعب، فلا نريد منك سوى أن ترقى المنبر في الصحن الحيدري أو أيّ مكان عام وتخطب مشيداً بالسيّد الرئيس، وتشجب ما يقوم به الخميني اتّجاه العراق... إلخ!

ويذكّرني هذا المكر بمكر معاوية عندما طلب من الأحنف بن قيس بأن يرقى المنبر ويمتدح يزيد، فقال: لو تركتني لكان خيراً. قال: لماذا؟ قال: لأمرين؛ إذا صدقت أغضبتك، وإذا كذبت أغضبت الله. فلمّا طلبوا ذلك من السيّد مقابل إطلاق سراحه وإعطائه جواز سفره وبعض الإغراءات الأُخرى، أخرج السيّد لسانه وقال: اقطعوا لساني خير ممّا تدعونني إليه.

تحيّة لك أيّها البطل، ومرحى لصلابتك أيّها العظيم، وطبتَ حيّاً وميتاً، والسّلام عليك كلّما بدأ يعود ورحمة الله وبركاته.

قالوا في السيّد جواد شبّر

* قال الأُستاذ الأديب علي الخاقاني في (شعراء الغري): والسيّد جواد أديب ذكي، وخطيب شجاع، يعبّر عن كثير من الآلام التي يتحسّسها مجتمعه، ويندفع في تصوير ما يراه صالحاً لقومه بلهجة يغلب عليها الحماس، ويتخلّلها لون من الثورة النفسيّة؛ ولحماسه القوي فقد تصوّره فريق أنّه يتصنّع ذلك، غير أنّ مَنْ عرف سلوكه يعرف أنّه

---

(١) معجم الخطباء ١ / ٣٤٨.

صادق بتعبيره. (شعراء الغري ٢ / ٤٧٢).

* ووصفه الدكتور الشيخ محمّد هادي الأميني في معجمه: عالم فاضل، خطيب متكلّم، شاعر مجدّد، مؤلّف مؤرّخ متتبّع، نظم الشعر وجاهد بقلمه ولسانه في سبيل عقيدته ورسالته وتشيّعه الذي يعتبر بحقّ الإسلام الصحيح.

كتب بحوثاً ومواضيع توجيهيّة وأدبيّة في الصحف دلّت على تفوّقه العلمي ونضوجه الأدبي، اعتقلته السلطة الرعناء في شهر رمضان وضاع خبره حتّى هذه الساعة. (معجم رجال الفكر ٢ / ٧١٣).

* وقال المرجاني في خطباء المنبر: هو أحد حسنات النجف الأشرف، وأحد خطبائها البارزين، وتراه إذا رقى ذروة المنبر انحدر كالسيل المتدفّق. واسع الرواية، قوي الحجّة. (١ / ١٣٦).

* وقال صاحب كتاب ومضات الشباب: اجتمعت له أسباب التوفيق في الحياة من انتشار صيت، وحسن حال، واستيعاب معرفة، ورخامة صوت، ونشاط أدبي ملموس الأثر؛ فانطلقت خلفه عيون فريق من مرتقي المنابر الذين يشاركونه المزاولة ولا يشاركونه المؤهّلات والمقام. (مشهد الإمام ٤ / ١٥٤).

* قال الفقيه المظلوم الشيخ محمّد تقي الجواهري: السيّد جواد ليس له نظير في خطابته؛ فهو يركّز العقيدة. (المناهج الحسينيّة، تقديم: علي محمّد علي دخيّل).

* وقال العلاّمة الشيخ قاسم محيي الدين: الجواد هو رجل المناسبة، وأمل المستقبل في الخطابة. (خطباء المنبر ١ / ١٣٧).

* وقال العلاّمة العبقري الشيخ محمّد جواد مغنية في ختام تقديمه لموسوعة أدب الطفّ: وختاماً نسجّل تقديرنا لخطيب المنبر الحسيني الكفوء، صاحب هذه المجموعة التي ضاعفت حسناته بعدد أبياتها، وشهدت له بالتتبع وسعة الاطّلاع. (أدب الطفّ ١ / ١٦).

* ولما كان الشيخ محمّد جواد مغنية يقطن في المدرسة الشبّريّة، كنت أذهب إلى غرفته للاستفادة، ومرّةً حضر مجلساً حسينياً أُقيم في باحة المدرسة وقد قرأ الوالد، ولما انتهى قلت للشيخ مغنية: ما رأيكم بقراءة الوالد؟

فقال لي: إنّ أباك خطيب العُلماء، وعالم الخطباء.

* ومن ذكرياتي: تبادل الرسائل باستمرار بين الوالد والكاتب (روكس بن زائد العزيزي) رئيس رابطة حقوق الإنسان في الأُردن، فقد كنتُ أقرأ على ظرف رسائله كلّها عبارة: (... إلى أمير المنابر جواد شبّر...).

* في لقاء مع آية الله العلاّمة السيّد محمّد مُفتي الشيعة في قم المقدسة[1] قال: كان الخطيب الفاضل السيّد جواد شبّر خطيباً مُبرزاً، واعياً جامعاً في خطابته، متكلّماً متميّزاً لفصاحته وبلاغته وشجاعته؛ حيث يُبيّن المطالب المنبريّة المهمّة... متحدّياً... دون تردّد ومداهنة...

وقد عرفته من الخطباء المتميّزين في شدّة ولائهم لأهل البيت عليهم السلام... مهيمناً على تلك المطالب، عارفاً بحُضّار مجالسه من العلماء والعامّة من الناس.

وكان هو الخطيب الذي يُختارُ غالباً لارتقاء المنبر الشريف في مجالس العلماء والمراجع... وكان ممّن ينصبُّ عليه الاهتمام في تأبين العلماء والمراجع؛ لإحاطته بكثير ممّا يتعلّق بسيرهم وحياتهم وآثارهم.

وممّا أتذكّره أنّه كان المعوّل عليه في تأبين العلماء والمراجع: السيّد الحكيم، والسيّد الميلاني، والسيّد عبد الهادي الشيرازي، والسيّد جواد التبريزي، والشيخ حسين الحلّي، والسيّد محمود الشاهرودي، وآقا بزرك الطهراني وغيرهم مِن أعلام الدين (رضوان الله تعالى عليهم).

* وقال الشيخ عبد الحسين الحويزي مخاطباً السيّد جواد شبّر[2]:

يـــا آلَ شـــبّر لم تـــزل أنـــوارُكمْ تـــأبى بـــأنديةِ الهـــدى إطفـــاءا
عرجـــت بكـــم همـــمٌ لغايـــاتِ العُـــلا ســـبقت فجـــاوزت المـــدى إســـراءا

تلامذته

يعتبر الخطيب السيّد جواد شبّر مدرسة واعية معطاءة تميّزت بإخلاصها وشموليّتها؛ فقد كان السَيّد موسوعة أدبيّة فقهيّة، حديثيّة تاريخيّة، فكنتُ عندما أجلس معه أو في مجالسه العامّة، أخرج بزيادة علم ومعرفة وأدب. وقد تتلمذ على يديه جمع من الخطباء نذكر بعضهم:

١ - الخطيب السيّد حسن الكشميري[3].

٢ - الخطيب الشيخ صالح الدجيلي[4].

---

(١) اللقاء في تاريخ ١٨ شعبان ١٤٢٠ هـ.

(٢) أدب الطف ١٠ / ١٢٨.

(٣) كما يشير هو في مجالسه من على المنبر، بل ويفتخر بذلك، ومعجم الخطباء ٢ / ٣٣٧.

(٤) نقلاً عن السيّد حسن الكشميري.

٣ - الخطيب الشيخ شاكر القرشي[١].

٤ - الخطيب السيّد داخل السيّد حسن[٢].

٥ - الخطيب السيّد عامر الحلو[٣].

٦ - الخطيب الشيخ صالح الجزائري[٤].

٧ - الخطيب الشيخ عبد الأمير أبو الطابوق[٥].

سيّدي الأُستاذ والوالد والمربّي، أيّها المغيّب عنّا في السجون، يا مَن خَدَمْتَ منبر جدّك الحسين عليه السلام أكثر مِن نصف قَرن، ثمّ أودعوك في زنزانات مُظلمة. أيّها الأسد الهصور، كُنت تقول لنا - نحن أبناؤك -: مَنْ منكم يسلك طريقي، طريق الخطابة الحسينيّة؟

فكانت (أُمنيتك)، وها أنا أُحقّق أُمنيتك أيّها الكبير العظيم، وعلى طريقك ونهجك أيّها المخلص.

أدعو لك مع مُحبّيك وجمهورك بالفرج من أيدي الطغاة.

أدعو لك بدموعي الممزوجة بلوعتي على فراقك.

أدعو لك مِن على منبر جدّك الذبيح، مِن على نفس المنبر الذي كُنّا نراك عليه، وكلّنا آذان صاغية لحديثك الممتع:

فما استشعرَ المُصغي إليك مَلالةً ... ولا قُلتَ إلاّ قال مِن طَرَبٍ: زِدني

فأعظمُ مَجدي كان إنّك لي أبٌ ... وأكبرُ فخري كان قولك: ذا اِبني

ولدك: محمّد أمين

٧ ذو القعدة ١٤٢٠ - ٢٠٠٠/٢/١٣

---

(١) نقلاً عن خطباء المنبر الحسيني - للمرجاني ٤ / ١٣٥.

(٢) نقلاً عن خطباء المنبر الحسيني - للمرجاني ٦ / ١٤٢.

(٣) معجم الخطباء ٢ / ٣٦١.

(٤) خطباء المنبر الحسيني ٥ / ١٧٤، ومعجم الخطباء ٤ / ٢١٢.

(٥) معجم الخطباء ٧ / ٢٢٤.

الحسين عليه السلام عبرة المؤمنين

(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون * فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرونَ بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون) «آل عمران ١٦٩ - ١٧٠».

عن عبد الله بن سنان قال: دخلت على سيّدي أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام في يوم عاشوراء، فألفيته كاسفَ اللون، ظاهرَ الحزن، ودموعُه تتحادر مِن عينيه، فقلتُ: يابنَ رسول الله، مِمّ بكاؤك لا أبكى الله لك عيناً؟!

فقال: ((أوَ في غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين عليه السلام أُصيب في مثل هذا اليوم؟!)) ثمّ بكى أبو عبد الله حتّى اخضلّت لحيته بدموعه.

المقدّمة

احتفال الأئمّة بيوم عاشوراء

جرت عادة الشيعة الإماميّة على الاحتفال بذكرى واقعة الطفّ الدامية، واتّخاذ يوم مقتل سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام يوم حزن وبكاء، اتّخذوا ذلك على سيرة الأئمّة من أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ فقد كان الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام إذا هلّ هلال عاشوراء اشتدّ حزنه، وعَظُمَ بكاؤه على مُصاب جدّه الحسين عليه السلام، وتَفِدُ إليه الناس من كلّ جانب ومكان يُعزّونه بالحسين عليه السلام ويبكون وينوحون معه.

وكان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تَغلبُ عليه حتّى تمضي منه عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر

كان ذلك اليوم يوم المصيبة، ويقول: ((هذا هو اليوم الذي قُتل فيه جدّي الحسين عليه السلام))[1].

وكان من الالتزام بالحِداد، وتعطيل الأعمال، والوقوف عن الأشغال والاكتساب وطلب الارتزاق يوم عاشوراء أثرٌ ظاهرٌ في جميع البُلدان الشيعيّة، وذلك حسب ما أدّب به أهلُ البيت عليهم السلام شيعتهم.

روى الصدوق في الأمالي بسنده عن الرضا عليه السلام قال: ((مَنْ ترك السّعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدّنيا والآخرة، ومَنْ كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحُزنه وبكائه جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينه. ومَنْ سمّى يوم عاشوراء يوم بركة وادَّخر فيه لمنزله شيئاً لم يُبارَكْ له فيما ادّخر، وحُشِرَ يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد إلى أسفل دَرك من النّار))[2].

وما من مأتم يُعْقَد لهذه الذكرى المؤلمة إلاّ وتُشاهدُ نائحة أهل البيت عليهم السلام يروي هذه القصّة المفجعة، والملحمة الدامعة. وقد طلب الكثير منّا أن نكتبها لهم على أسانيدها الصحيحة، وسلسلتها المتّصلة العرى، المتواصلة الحلقات بدون تطويل وتذييل، ولا إيجاز مُخلّ بالأصل، وقدّمت هذه الهديّة المتواضعة لسيّدي ومولاي سيّد الشهداء أبي عبد الله (يا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُرُّ وَجِئْنا بِبِضَاعَة مُزْجاة فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا إنَّ اللهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ)[3].

جواد شبّر

١ جمادى الأولى ١٣٨٤ - النجف الأشرف

---

(١) أمالي الصدوق / ١١١، أسرار الشهادة / ٣٩.

(٢) أمالي الصدوق / ١١٢.

(٣) سورة يوسف / ٨٨.

يوم الدموع

هذا هو يوم الفاجعة الكبرى التي حلّت بعترة الرّسول ﷺ ، والحادثة الدّامية التي قلّ ما شهد التاريخ لها نظيراً من حيثُ الفظايع والفجايع، وما غَرُبَت شمسُ هذا اليوم إلاّ وذريّة النبيّ ﷺ ضحايا في عرصة كربلاء، بينهم ريحانة النبيّ وسيّد شباب أهل الجنّة، وهم ثمانية عشر ما لهم على وجه الأرض شبيه.

عَلى الأَرْضِ صَرْعى مِن كُهُولٍ وفِتْيَةٍ فُرادى عَلى حَرِّ الصَّفا وتَوائمِ[1]

إنّ هذه الوحشيّة التي ارتكبها الحزبُ الأُمويُّ لم تزل ولن تزال لَطخةً سوداء في تأريخ العرب؛ لذلك يأنف منها كُلّ عربيٍّ.

وأمّا نحنُ فقد اتّخذنا يوم عاشوراء يوم استنكار واستياء لهذه الفعلةِ الشّنعاء، واحتجاجاً على هذه المظالم والجرائم، وحتّى أنّ المسلمينَ مِن يومِ حدوث هذا الحادث حتّى يومنا هذا وإلى ما شاء الله يُقيمون هذه الذكريات الممزوجة بالحسرات، ويجتنبون الملذّات ليكون احتجاجاً صارخاً ضدّ الاعتداء الأُمويّ.

روى سبط ابن الجوزي أنّ أحمد بن عيسى الهاشمي - مِن وُلْدِ الواثق العبّاسي - اعتذر عن الكُحْل يوم عاشوراء، فقال:

لَمْ أَكْتَحِلْ في صَبَاحِ يَوْمٍ أُريقَ فِيهِ دَمُ الحُسَينِ
إلاّ لِحُزْنِي وذاكَ أنّي سَوَّدْتُ حَتّى بَياضَ عَيني

وقال غيره[2]:

وقائِلٌ لِمْ كَحَّلْتَ عَيْنَاً يَوْمَ اسْتَباحُوا دَمَ الحُسَيْنِ
فَقُلْتُ كُفُّوا أحَقُّ شَيء تَلْبَسُ فيهِ السَّوادَ عَيني

وقال عبد الباقي العُمري الموصلي[3]:

نَحْنُ أُناسٌ إذا ما قَدْ هَلَّ شَهْرُ المحَرَّمْ
فَكُلُّ شَيء عَلينا سِوى البُكاءِ مُحَرَّمْ

وفي استعادة هذه الذكرى أبلغ الدّروس وأجلى العِبَر، فمنها نستمدّ النخوة والكرامة، وعزّة النّفس وعدم الخضوع للضَّيم والخنوع للظلم، فأيُّ إنسان لا يسمع كلام الحسين (سلام الله عليه):

---

(١) الدرّ النضيد / ٢٨٩.

(٢) نسبه سبط ابن الجوزي لأبي عبد الله النحوي - تذكرة الخواص / ٢٤٥.

(٣) أدب الطفّ ٧ / ١٣٣.

((ألا وإنّ الدّعي ابن الدّعيّ قد ركز بين اثنتين؛ بين السلّة[١] والذلّة، وهيهات منّا الذلّة! يأبى اللهُ لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحُجورٌ طابت وطهُرت، وأُنوفٌ حميّةٌ، ونفوسٌ أبيّةٌ من أنْ تُؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام))[٢].

نعم، أيّ إنسان يسمع هذا الكلام فلا تتحرّك نخوته، ولا تتوقّد شهامته وغيرته؟!

فضل الحسين عليه السلام

روى الشبلنجي في نور الأبصار عن مستدرك الحاكم وصحّحه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ((حسينٌ منّي وأنا من حسين، اللّهمّ أحبَّ مَنْ أحبَّ حُسيناً، حُسينٌ سبطٌ من الأسباط))[٣].

وروى ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((مَنْ سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنّة فلينظر إلى الحسين بن علي))[٤].

وروى البخاري[٥] يرفعه إلى ابن عمر أنّه سأله رجل عن دم البَعوض، فقال له: ممّن أنت؟ فقال: رجل من أهل العراق. فقال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البَعوض وقد قتلوا ابن رسول الله، وسمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ((هُما ريحانتاي من الدّنيا))!

يَـــرَوْنَ دَمَ البَعُوضَـــةِ غَيْـــرَ حِـــلٍّ وَقَـــتْلَ بَـــني نَـــبيِّ اللهِ فَرْضـــا

روى الترمذي في سننه عن أُسامة بن زيد قال: طرقت النبيّ صلى الله عليه وآله ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وهو مشتملٌ على شيء لا أدري ما هو، فلمّا فرغتُ من حاجتي

---

(١) السِلّة: بكسر السين، استلال السيوف.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٧٤ - ٧٥، الاحتجاج / ٣٣٦، المناقب - لابن شهر آشوب ٤ / ١١٠، بحار الأنوار ٤٥ / ٨٣.

(٣) مختصر تاريخ دمشق - لابن منظور ٧ / ١٢٠، سنن ابن ماجة ١ / ٥١، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٧٢، أُسد الغابة ٢ / ١٩، مستدرك الحاكم ٣ / ١٧٧، نور الأبصار / ١٢٩.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٠، من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (النجف الأشرف)، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٩٠.

(٥) صحيح البخاري - كتاب الأدب، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ٣ / ١٨٣، صحيح الترمذي ١٣ / ١٩٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

قلتُ: ما هذا الذي أنت مشتملٌ عليه؟

فكشفه فإذا حسنٌ وحسينٌ عليهما السلام على وَرِّكَيه، فقال: ((هذان ابناي وابنا ابنتي، اللّهمّ إنّي أُحبّهما فأحبّهما وأحبَّ مَنْ يُحبّهما))[1].

وعن أنس بن مالك: كان صلى الله عليه وآله يقول لفاطمة: ((ادْعي لي ابنيَّ)). فيشمّهما ويضمّهما إليه[2].

وقال ابن عساكر في التاريخ الكبير: كان الحسين عليه السلام في جنازة فأعيا وقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطَرَف ثوبه، فقال له: ((يا أبا هريرة، وأنت تفعل هذا!)).

فقال له: دعني، فوالله لو يعلمُ الناسُ منك ما أعلم لحملوك على رقابهم[3].

هذا فضل الحسين (صلوات الله وسلامه عليه). أبهذا يُجازى محمّدٌ في عترته وقد كرّر وصاياه برعايتهم والاحتفاظ بكرامتهم، وما طلب أجراً على رسالته إلاّ مودّتهم (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرَاً إلاّ المَوَدَّةَ في القُربى)[4]؟!

قال ابن حجر في الصّواعق: أخرج أحمد والطّبراني والحاكم أنّه لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، مَنْ قرابتك الذين وجبتْ علينا مودّتهم؟

قال: ((عليٌّ وفاطمة وابناهما))[5].

قال شمس الدّين ابن العربي[6]:

رَأَيْتُ وِلائي آلَ طه فَريضَةً عَلى رَغْمِ أَهْلِ البُعْدِ يُورثني القُربى

---

(١) صحيح الترمذي - لابن العربي المالكي ١٣ / ١٩٢ - ١٩٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) المصدر نفسه / ١٩٤، فيض القدير ١ / ١٤٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ١٩٣، كفاية الطالب / ٤٢٥، مختصر تاريخ دمشق - لابن منظور ٧ / ١٢٨.

(٤) سورة الشورى / ٢٣.

(٥) الصواعق المحرقة / ١٠١.

وأخرج أحمد في المناقب، وابن منذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والواحدي، والثعلبي، وأبو نعيم، والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: ((علي وفاطمة وابناهما)). (الغدير ٢ / ٣٠٧).

(٦) الصواعق المحرقة / ١٠١، ونقلها العلاّمة الأميني في الغدير ٢ / ٣١٠.

فَمـا سَـأَلَ المَبْعُـوثُ أجـراً علـى الهُـدى بِـــتَبْلِيغِهِ إلاّ الـــمَوَدَّةَ فـــي القُـــربى

ويحقّ أن نذكر أبيات أسماء بنت عقيل بن أبي طالب لما خرجتْ بالمدينة يوم رجوع السبايا من كربلاء باكين نائحين؛ جاءت أسماءُ بنت عقيل في لمة من نسائها حاسرةً حتّى انتهتْ إلى قبر رسول الله ﷺ فلاذتْ به، وشهقتْ عنده، ثمّ التفتت إلى المهاجرين والأنصارِ وهي تقول:

مـــاذا تَـــقُولُونَ إنْ قـــالَ الـــنبيُّ لَكُـــمْ مـــاذا فَـــعَلْتُمْ وأَنْـــتُم آخِـــرُ الأُمَـــمِ

بِعِـــتْرَتِي وبـــأَهلي بَـــعْدَ مُـــفتقدي مِـــنْهُمْ أُســـارى ومِـــنْهُمْ خُضِّـــبوا بـــدمِ

مـا كـانَ هـذا جَزائـي إذْ نَصَـحْتُ لَكُـمْ أنْ تُخْلِفُـــوني بِسُـــوءٍ في ذَوي رَحِمـــي[1]

وروى الشبلنجي في (نور الأبصار) عن زيد بن أبي زياد قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فمرَّ على بيت فاطمة عليها السلام، فسمع حُسيناً يبكي، فقال: ((ألَمْ تَعلمي أنّ بُكاءهُ يُؤذيني؟!))[2].

وحسبه كرامةً لا يُشاركه فيها إلاّ أخوه الحسن المجتبى أنّه هو المراد بالأبناء في آية المباهلة، وأنّه من أهل العبا الّذين لا يُدْرَكُ أمَدُ فضلهم، وممّن نزلت سورةُ «هل أتى» في حقّهم (وَيُطْعِمُـونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسيراً)[3]، وأنّه من ذوي القربى، وممّن نزلت بهم آية التطهير[4] وما إلى ذلك من المناقب.

لما مات معاوية[5] ومَلَك الأمر ولده يزيد كتب إلى عامله بالمدينة أن يأخذ البيعة له من أهل المدينة عامّةً، ومن الحسين خاصّةً، ولا يُرخّصُ له في التأخير، وإن أبى يضرب عنقه.

---

(١) مروج الذهب ٢ / ٧٥، تاريخ الطبري ٤ / ٢٩٣ - ٢٩٤، مؤسسة الأعلمي - بيروت، الكامل - لابن الأثير ٤ / ٣٩، أدب الطفّ ١ / ٦٧.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ٢٠١، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٩١، المعجم الكبير - للطبراني، ذخائر العقبى / ١٤٣.

(٣) سورة الدهر / ٨.

(٤) سورة الأحزاب / ٣٣.

(٥) مات معاوية بن أبي سفيان في النصف من رجب سنة ستين من الهجرة.

وكان عامله إذ ذاك الوليد بن عتبة، فاستدعى الوليد الحسين عليه السلام، فأنفذ الحسين إلى جماعة من بني هاشم وقال لهم: ((إنّ الوليد استدعاني ولستُ آمنُ أن يُكلّفني أمراً لا أُجيبه إليه، فكونوا معي على الباب؛ فإنْ سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عَلَيّ لتمنعوه عنّي)).

ثمّ صار إلى الوليد، فوجد عنده مروان بن الحكم، فنعى إليه الوليد معاوية، فاسترجع الحسين عليه السلام، ثمّ قرأ الوليد كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذِ البيعة منه، فقال عليه السلام: ((إنّي لا أراك تقنعُ ببيعتي ليزيد سِرّاً حتّى أُبايعه جهراً))[1].

فقال له الوليد: أجَلْ.

فقال عليه السلام: ((تُصبح فترى رأيك في ذلك)).

فقال الوليد: انصرف على اسم الله حتّى تأتينا مع الناس.

فقال له مروان: لئِنْ فارقك الحسين الساعة ولم يُبايع لا قدرْتَ منه على مثلها أبداً. احبس الرّجل ولا يخرج حتّى يُبايع أو تضربَ عنقه.

فوثب الحسين عليه السلام وقال: ((يابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟! كذبت والله وأثمت))[2].

فجرّد مروان سيفه وصاح بالوليد: مُر سيّافك أن يضرب عنقه ودمه في عنقي.

وارتفعت الصّيحة فهجم تسعة عشر رجلاً من أهل بيته عليهم السلام وقد انتضوا سيوفهم وخناجرهم، فقال الحسين عليه السلام للوليد: ((يا أمير، إنّا أهل بيت النبوّة، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة؛ بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجلٌ فاسقٌ، شاربُ الخمر، قاتل النّفس المحترمة، ومثلي لا يُبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة))[3].

ثمّ خرج يتهادى بين مواليه وهو يتمثّل بقول يزيد بن المفرّغ:

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في غَسَقِ[4] الصُّبـ ـحِ مُغِيراً ولا دُعيتُ يزيدا[5]

يَوْمَ أَعْطَى مَخافَةَ المَوْتِ[6] ضَيْماً والمَنايا يَرْصُدْنني أن أحيدا[7]

---

(١) الإرشاد / ٢٠٠، أعيان الشيعة ١ / ٥٨٧.

(٢) وفي رواية ابن الأثير ٣ / ٢٦٤ ولؤمت.

(٣) الفتوح ٥ / ١٨.

(٤) في تاريخ الطبري ٤ / ٢٥٣، طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت: في فلق الصُبح.

(٥) هو يزيد بن المفرّغ.

(٦) في تاريخ الطبري ٤ / ٢٥٣، بدل «مخافة الموت» توجد «من المهابة».

(٧) مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١٨٦، وفي أنساب الأشراف ٤ / ٦٦: تمثّل بهذين البيتين في مكّة المكرّمة.

خرج الحسين عليه السلام من المدينة لليلتين بقيتا من رجب، وهو يقرأ: ((فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِين))[1]، ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكّبت الطريق كما فعل ابن الزّبير؛ لكيلا يلحقك الطلبُ.

قال: ((لا والله، لا أُفارقه حتّى يقضي الله ما هو قاض))[2].

تأبى نفسه الكبيرة أن يخرج خروج المتكتّم الهارب، فوصفه شاعره بقوله:

غَداةَ بني عَبْدِ المنافِ أُنُوفُهُمْ ... أَبَتْ أنْ يُسَافَ الضَّيْمُ مِنها بمَنشَقِ

سَرَتْ لم تنكّب عن طَريقٍ لغَيرِهِ ... حِذارَ العِدى بل بالطَّريقِ المطرَّقِ

إلى أَنْ أَتَتْ أَرضَ الطُّفُوفِ فخيّمتْ ... بأعلى سنامٍ للعَلاءِ ومِفْرَقِ[3]

فلقيه عبد الله بن مطيع، وكان من أشراف العرب، فقال له: جُعلت فداك! أين تريد؟

قال: ((أمّا الآن فمكّة، وأمّا بعد فإنّي أستخير الله)).

قال: خار الله لك، وجعلنا فداك، فإذا أتيت مكّة فإيّاك أن تقرَبَ الكوفة؛ فإنّها بلدةٌ مشؤومةٌ؛ بها قُتل أبوك، وخُذل أخوك، واغتيل بطعنة كادتْ تأتي على نفسه. الزم الحرم فأنت سيّد العرب، لا يعدل بك أهل الحجاز أحداً، أو يتداعى إليك الناس من كلّ جانب. لا تُفارق الحرم فداك عمّي وخالي؛ فوالله لئنْ هلكْتَ لنُستَرَقنّ من بعدك[4].

أي إذا اجترؤوا عليك لا تبقى حُرمةٌ لأحد، ولا كرامةٌ لشريف.

وذكر الذهبيّ في تاريخ الإسلام في تاريخ مقتل الحسين عليه السلام عن الواقدي، عن أبي

---

(١) سورة القصص / ٢١.

(٢) مقتل الحسين - للمقرّم / ١٤٠، تاريخ الطبري ٤ / ٢٥٣، الإرشاد / ٢٠٢، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٣١.

(٣) القصيدة للشيخ صالح الكوّاز، رياض المدح والرثاء / ٦٤٠ طبع قم.

(٤) الحوار الذي دار بين الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن مطيع ذُكِرَ في كلٍّ من: الفتوح ٥ / ٢٥، ومقتل الحسين - للخوارزمي ١ / ١٨٩، وفيه: فودّعه الحسين ودعا له بالخير، أنساب الأشراف ٣ / ١٥٥، تاريخ الطبري ٤ / ٢٦١، وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل / ١٨٥.

عون قال: خرج الحسين من المدينة إلى مكّة، فمرّ بابن مُطيع وهو يحفر بئره، فقال: أين فداك أبي وأُمّي؟ متّعنا بنفسك ولا تَسِرْ. فأبى الحسين عليه السلام، فقال: إنّ بئري هذه رشّحتها، وهذا اليومُ أوانُ ما خرج إلينا في الدلوِ، فلو دعوتَ لنا فيها بالبركة.

قال: ((هات من مائها)).

فأتى بماء في الدلو فشرب منه، ثمّ تمضمض ثمّ ردّه في البئر.

وروى ابن عساكر هذا الخبر في التأريخ الكبير بزيادة وهو: أنّ البئر كان ماؤها مالحاً، فشرب منه فتمضمض ثمّ ردّه في البئر فعذب ماؤها[١].

ولما فصل الحسين متوجّهاً إلى مكة دعا بقرطاس وكتب فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى بني هاشم. أمّا بعد، فإنّه مَنْ لَحِقَ بي منكم استُشهد، ومَنْ تخلّف لم يبلغ مبلغَ الفتح، والسّلام))[٢].

قال أرباب السير: ودخل الحسين عليه السلام مكّة المكرّمة ليلة الجمعة لثلاث مضَيْن من شعبان[٣] وهو يقرأ: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيل)[٤]، ثمّ نزلها وجعل أهلها يختلفون إليه، وغدَتْ كتبُ الكوفة تترى عليه[٥] حتّى اجتمع عنده من الكتب والرّسائل اثنا عشر ألف كتاب[٦]، وهو مع ذلك يتأنّى ولا يُجيبهم.

ثمّ أرسل إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل، وكتب معه: ((من الحسين بن علي إلى الملأ المؤمنين. أمّا بعد، فقد قدِمَتْ عَلَيّ رُسلكم، وفهِمْتُ ما ذكرْتُم من محبّتكم لقدومي، وأنا باعثٌ إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل))[٧].

---

(١) تاريخ ابن عساكر - ترجمة الإمام الحسين عليه السلام / ١٥٥.

(٢) بصائر الدرجات / ٤٨١، ح٥، اللهوف / ٢٨، المناقب - لابن شهر آشوب ٤ / ٧٦، مثير الأحزان / ٣٩، الخرائج والجرائح ٢ / ٧٧١، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٣٠ و٤٥ / ٨٤ و٤٢ / ٨١، العوالم ١٧ / ١٧٩.

(٣) الإرشاد / ٢٠٢، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٣٢، العوالم ١٧ / ١٨١، الكامل ٢ / ٥٣١، الفتوح ٥ / ٢٥، أعيان الشيعة ١ / ٥٨٨، المنتظم - لابن الجوزي.

(٤) تاريخ الطبري ٤ / ٢٦١، والآية في سورة القصص / ٢٢.

(٥) تاريخ الطبري ٤ / ٢٦١.

(٦) اللهوف / ١٩.

(٧) نصّ الرسالة ذُكِرَت في كلٍّ من: الإرشاد ٢ / ٣٦، طبع إيران، تاريخ الطبري ٤ / ٢٦٢، الأخبار الطوال / ٢٣٨، الفتوح ٥ / ٣٥، مقتل الحسين - للخوارزمي ١ / ١٩٥، وسيلة المآل / ١٨٦، مكتبة السيّد الحكيم - النجف.

واستدعى مسلم بن عقيل وأمره بالمسير إلى الكوفة، وأوصاه بتقوى الله، وكتمان أمره، واللطف، فإنْ رأى الناس مجتمعين عجّل إليه بذلك[١]. فلمّا دخل مسلم الكوفة استبشر به أهلها وبايعه خمسةٌ وعشرون ألف رجل[٢]، فكتب بذلك إلى الحسين.

وكتب عمارةُ بن عقبة وعمر بن سعد إلى يزيد يُخبرانه بخبر مسلم[٣]، فأنفذ يزيد عبيد الله بن زياد إلى الكوفة[٤]، ولما دخل عبيد الله إلى الكوفة جعل أصحاب مسلم يتفرّقون، ويُخذّل بعضهم بعضاً[٥].

واختفى مسلم في دار المختار، ثمّ في دار هاني بن عروة، فأُخبر ابن زياد بذلك، فأحضر هانياً وكلّمه في أمر مسلم، فامتنع هاني من تسليمه إيّاه، وجرى بينهما كلامٌ كثيرٌ حتّى رفع ابن زياد قضيباً كان عنده فهشّم به وجْه هاني، وكسر أنفه[٦]، فحمل عليه هاني بالسّيف وجرحه جُرَحاً مُنكراً، فتكاثرت عليه الرجال وأوثقوه كِتافاً[٧].

ولما بلغ مسلماً خبر هاني خرج بمَنْ بايعه إلى حرب ابن زياد[٨]، فتحصّن منه بقصر الإمارة، وجعل أصحاب ابن زياد يُشرفون من القصر ويُحذّرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم أجنادَ الشّام، فجعل أصحاب مسلم يتفرّقون عنه، وأضحى وحيداً في دروب الكوفة لا يدري أين يذهب[٩].

فوقف على باب امرأة يُقال لها: طوعة، فطلب منها ماءً فسقَتْهُ،

---

(١) الفتوح ٥ / ٣٦، مقتل الحسين - للخوارزمي ١ / ١٩٧، الكامل - لابن الأثير ٢ / ٥٣٤، الإرشاد ٢ / ٣٧، طبع إيران.

(٢) المناقب - لابن شهر آشوب ٢ / ٣١٠.

(٣) الإرشاد ٢ / ٣٧، طبع إيران، تاريخ الطبري ٤ / ٢٦٥.

(٤) تاريخ الطبري ٤ / ٢٦٥، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٠١.

(٥) حياة الإمام الحسين - للقرشي ٢ / ٣٥٨.

(٦) الكامل ٢ / ٥٤٠، مثير الأحزان - لابن نما.

(٧) الإرشاد ٢ / ٤٨، طبع إيران.

(٨) الكامل ٢ / ٥٤٠.

(٩) الكامل ٢ / ٥٤١.

وأدخلت الإناء، ثمّ خرجت فقالت: يا عبد الله، ألم تشربْ؟ قال: بلى. قالتْ: فاذْهب إلى أهلك. فسكت، ثمّ أعادتْ مثل ذلك فسكت، ثمّ قالت في الثالثة: سبحان الله! يا عبد الله، قُمْ عافاك الله إلى أهلك؛ فإنّه لا يُصلح لك الجلوس على بابي، ولا أُحلّه لك[١].

فقام وقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر أهْلٌ ولا عشيرة[٢]، فهل لَكِ في أجْرٍ ومعروف ولعلّي مُكافيك بعد هذا اليوم؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبّني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني. قالت: أنت مسلم؟! قال: نعم. قالت: ادخل. وأدخلته في بيت غير البيت الذي تكون فيه، وعرضتْ عليه العشاء فلم يتعشَّ، وجاء وَلَدُها فرآها تُكثرُ الدّخول في البيت والخروج منه، فسألها عن ذلك فنهرتْهُ، فألحّ عليها، فأخذت عليه العهد وأخبرتْهُ، فأمسك عنها وأسرّ في نفسه إلى أنْ طلع الفجر فغدا على ابن زياد وأخبره، فالتفت إلى محمّد بن الأشعث وقال: قُم وائتني به، وأرسل معه سبعين رجلاً.

فلمّا سمع مسلم وَقْعَ حوافر الخيل خرج إليهم بسيفه، وجعل يضرب فيهم يميناً وشمالاً وهم يزدحمون عليه، وأشرف منهم خلْقٌ على الحيطان وفوق السّطوح، وأخذوا يضربونه بالحجارة، ويُلهِبون النار في أطنان القصب ثمّ يرمونها عليه، وجعل ابن زياد يُمدّهم بالخيل والرّجال، ومسلمٌ يضرب فيهم ويقول:

أَقْسَمْتُ لا أُقْتَلُ إلاّ حُرًّا وإنْ رَأَيْتُ المِوْتَ شَيئاً نُكْرا[٣][٤]

---

(١) الكامل ٢ / ٥٤١.

(٢) آنه مسلم الفاجد نصيره.

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٢٧٩، الكامل ٢ / ٥٤٢.

(٤)

يمسلم ويـن ذاك اليوم عبّاس يجيك بشيمته ومفرّع الراس
أو يشوفك يوم صابك نذل الارجاس وهويت من الگصر فوگ الوطيّه
يمسلم ويـن ذاك اليوم عمّك يجيك ايعاينك غارج ابدمّك
وحيد أو محّد من النّاس يمّك غريب بهل البلد مالك تچيّه

وصاح ابن الأشعث: الأمانُ لك يا مسلم.

قال: لا أمان لكم.

وأسند ظهره إلى تلك الدّار التي كان فيها، فضربه بكر بن حمران الأحمري على شَفَتِهِ العُليا فقطعها، وضربه مسلم على حَبْلِ عاتقه ضربةً مُنكرةً، وازدحموا عليه فأوثقوه كِتافاً وجاؤوا به إلى ابن زياد، فقال: اصعدوا به أعلى القصر فاضربوا عُنُقه، واتبعوا رأسه جسده.

فصعدوا به وهو يُكبّر الله ويُوحّده، فضربوا عنقه ورموا بجسده من أعلى القصر إلى الأرض، ثمّ أمر ابن زياد بهاني فأُخرج إلى السُوق وضُرِبَتْ عنقه[1][2].

قال أرباب السير: وكان خروج مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضَيْن من ذي

---

(١) الإرشاد ٢ / ٥٧ - ٥٨، طبع إيران، الكامل ٢ / ٥٤٢، مقتل الحسين - للخوارزمي ١ / ٢١٣.

(٢)

والـــمكدّر گضـــه او شـــاعت اخبـــاره ... رمـــوه الگـــوم مـــن گصـــر الإمـــاره

او هـــاني انچتـــل عگبـــه او بگـــت داره ... مـــظلمه او لا بـــعد واحـــد يصـــلها

مـــصيبتهم مصـــيبة اتصـــدع الأجبـــال ... او مِـــن گبـــل المشـــيب تشـــيب الأطفـــال

شفت ميّت يجرّونه بالأحبال

* * *

ســـقتك دمـــاً يـــابن عـــمِّ الحســـين ... مَدامِـــعُ شـــيعتك الـــسافحه

ولا بـــرحت هـــاطلات العيـــون ... تُحـــيّيك غاديـــة رائـــحه

رمـــوك مِـــن القصـــر إذْ أوثقـــوك ... فهـــل سَـــلِمَتْ فيـــك مِـــن جارحـــه

وسحـــباً تُـــجَرُّ بـــأسواقهم ... ألـــستَ أمـــيرهم البارحـــه

قضيتَ ولم تبكك الباكيات

السيّد باقر الهندي - أدب الطفّ ٨ / ٢٢٣

الحجّة، وهو اليوم الذي خرج فيه الحسين عليه السلام من مكّة، وهو يوم التروية[1].

طاف بالبيت سبعاً، وسعى بين الصّفا والمروة، وأحلّ من إحرامه وجعلها عُمرةً مُفردة؛ لعدم تمكّنه من إتمام الحجّ[2]؛ لأنّ يزيدَ دسّ مع الحاجّ ثلاثين رجلاً وأمرهم أن يغتالوا الحسين ولو كان مُتعلّقاً بأستار الكعبة[3].

فقال عليه السلام: ((لو لم أخرج لهُتِكتْ حُرمة البيت))[4].

فلمّا عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً ليلة الثامنة من ذي الحجّة، فقال[5]: ((الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، وصلّى الله على رسوله، خُطَّ الموتُ على وُلْدِ آدمَ مَخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أوْلهني إلى أسلافي اشتياق يعقوبَ إلى يوسف.

وخُيِّرَ لي مَصرعٌ أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تُقطّعها عُسلانُ الفلوات[6] بين النّواويس وكربلاء، فيملأنَ منّي أكراشاً جَوْفاً، وأجربةً سَغْباً، لا مَحيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبرُ على بلائه ويُوفّينا أُجور الصّابرين. ألا ومَنْ كان فينا باذلاً مُهجَتَهُ، مُوطّناً على لقاء الله نَفْسَهُ فلْيَرْحَلْ معنا؛ فإنّي راحلٌ مُصبحاً إن شاء الله تعالى)).

وخرج بأهله وولده ومَنْ تبعه من شيعته، ولم يكن خبرُ مسلم قد بلغه، فلمّا وصل إلى الحاجر من بَطْنِ ذي الرّمة[7] بعث قيس بن مُسهّر الصيداوي[8] إلى الكوفة، وكتب معه:

---

(١) الأقوال في شهادة مسلم ثلاثة:

الأوّل: وهو رأي المؤلّف هو يوم الثامن من ذي الحجّة، وهو الظاهر من تاريخ أبي الفداء ٢ / ١٩، تذكرة الخواص / ١٣٩.

والثاني: يوم الثالث من ذي الحجّة كما في اللهوف.

والثالث: يوم عرفة كما جاء في الإرشاد والمصباح، ومثير الأحزان والطبري.

(٢) الإرشاد ٢ / ٦٨، طبع إيران، مثير الأحزان / ٣٨.

(٣) حياة الإمام الحسين - للقرشي ٣ / ٤٧، نقلاً عن تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢١.

(٤) قال الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمّد بن الحنفيّة: ((يا أخي، قد خِفْتُ أنْ يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يُستباح به حُرمة هذا البيت)). (اللهوف / ٢٧، بحار الأنوار ٤٤ / ٢٦٤، العوالم ١٧ / ٢١٤، أعيان الشيعة ١ / ٥٩٣).

(٥) مثير الأحزان / ٤١، اللهوف / ٢٦، كشف الغمة ٢ / ٢٩، بحار الأنوار ٤٤ / ٢٦٦، العوالم ١٧ / ٢١٦، أعيان الشيعة ١ / ٥٩٣، حياة الإمام الحسين - للقرشي ٣ / ٤٨.

(٦) عسلان الفلوات: ذئاب الفلوات.

(٧) وهو أحد منازل الحج من طريق البادية. راجع: مقتل الحسين - للمقرّم، هامش / ١٧٥.

(٨) في بعض الكتب - مثل روضة الواعظين - ذكروا أنّ الإمام عليه السلام بعث الكتاب مع عبد الله بن يقطر... أقول: ويجوز أنّه عليه السلام أرسل إلى أهل الكوفة كتابين؛ أحدهما مع عبد الله بن يقطر، والآخر مع قيس بن مسهّر.

((بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فإنّي أحمد إليكم الله الّذي لا إله إلاّ هو. أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يُخبرني فيه بحُسْنِ رأيكم، واجتماع مَلَئكم على نصرنا والطّلب بحقّنا، فسألت الله أنْ يُحْسِن لنا الصُّنْع، وأن يُثيبكم على ذلك أعظم الأجر.

وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثُّلاثاء لثمان مضَيْن من ذي الحجّة يوم التّروية، فإذا ورد عليكم رسولي فانكمشوا[1] في أمركم وجِدّوا؛ فإنّي قادمٌ عليكم في أيّامي هذه إن شاء الله، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته))[2].

ولما بلغ عبيد الله بن زياد خروج الحسين عليه السلام من مكّة، وأنّه توجّه نحو العراق بعث الحُصين بن نُمير صاحب شرطته؛ فنظّم الخَيْلَ من القادسيّة إلى خَفّان، وما بين القَطْقُطانة إلى جبل لَعْلَع[3]، وقال النّاس: هذا الحسين يُريد العراق.

ووصل قيس بن مسهّر الصيداوي إلى القادسيّة يحمل كتاب الحسين عليه السلام، فاعترضه الحُصين بن نُمير ليُفتّشه، فبادر قيس ومزّق الكتاب؛ لأنّ فيه أسماء جماعة من شيعة الحسين بالكوفة؛ منهم سليمان بن صَرْد الخُزاعي، والمسيّب بن نُجْبَة، ورِفاعة بن شدّاد، فوضع عليه خَفَراً ثمّ حمله إلى الكوفة.

فلمّا مَثُلَ بين يدي ابن زياد قال له: مَنْ أنت؟

قال: أنا رجلٌ من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وابنه.

قال: فلماذا مزّقْت الكتاب؟

قال: لئلاّ تَعْلَم ما فيه.

قال: ممّن الكتاب، وإلى مَنْ؟

قال: من الحسين عليه السلام إلى جماعة لا أعرف أسماءهم.

فغضب ابن زياد وقال: والله لا تُفارقني حتّى تُخبرني بأسماء هؤلاء القوم، أو تصعد المنبر فتسبّ الحسين بن

---

(١) في البداية والنهاية ٨ / ١٨١، بدل «فانكمشوا» عبارة «فاكتموا»، وفي تاريخ الطبري ٤ / ٢٩٧ عبارة «فاكمشوا».

(٢) الإرشاد ٢ / ٧٢، طبع إيران، والمصادر السابقة.

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٢٩٧.

عليٍّ وأباه وأخاه، وإلاّ قطّعتُك إرباً إرباً.

فقال: أمّا القوم فلا أُخبرك بأسمائهم، وأمّا السبّ فأفعلُ - وحاشاه -.

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ وأكثر من الترحّم على عليٍّ والحسن والحسين، ثمّ لعن عبيد الله بن زياد وعُتاة بني أُميّة عن آخرهم، ثمّ صاح: أيّها النّاس، أنا رسول الحسين إليكم، وقد خلّفته بالحاجر من بَطْن الرمّة فأجيبوه. فأمر به ابن زياد أن يُرمى من أعلى القصر إلى الأرض، فكانت كلماته تتصاعد وجسده يَهوى حتّى أتمّ ما عنده وأتمّوا ما عندهم[1].

وبلغ الحسين عليه السلام خبر مقتله ومقتل مسلم وهاني[2]، فخطب بأصحابه: ((أيّها النّاس، أتانا خبر فظيعٌ؛ قَتْلُ مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمَنْ أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منّا ذِمامٌ)). فتفرّق النّاس عنه، وأخذوا يميناً وشمالاً حتّى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه[3]، هذا والحسين مطأطئ برأسه إلى الأرض[4].

ثمّ سار حتّى نزل بذي جُشم، فاستقبله الحرّ الرياحيّ في ألفِ فارس وقد مَضَّ به وبأصحابه

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٢٩٧، الإرشاد ٢ / ٧٢، طبع إيران، البداية والنهاية ٨ / ١٨١ - ١٨٢، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٤٨.

(٢) الخبر وصل للإمام الحسين عليه السلام وهو في منطقة «زبالة»، وهو منزل معروف بطريق مكة من الكوفة.

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٠ - ٣٠١، البداية والنهاية ٨ / ١٨٢، الإرشاد ٢ / ٧٧، طبع إيران.

(٤) لما وصل خبر مقتل مسلم بن عقيل استعبر الحسين عليه السلام باكياً، ثمّ قال: ((رَحِمَ الله مسلماً؛ فلقد صار إلى رَوْحِ اللهِ وريحانه، وجنّته ورضوانه. ألا إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا)). ثمّ أنشأ يقول:

فَـــإنْ تَـــكُنِ الـــدُّنْيا تُـــعَدُّ نَـــفيسَةً ... فَـــدارُ ثَـــوابِ اللهِ أعـــلى وأَنْـــبَلُ

وإنْ تَـــكُنِ الأبْـــدانُ لِلْمَـــوتِ أُنشِـــئَتْ ... فَقَتْـــلُ امـــرئٍ بالســـيفِ في الله أفضـــلُ

وإنْ تَـــكُنِ الأرْزاقُ قِـــسْماً مُقـــدّراً ... فَقِلَّـــةُ حِـــرْصِ المـــرءِ في الـــرزقِ أجْمَـــلُ

بحار الأنوار ٤٤ / ٣٧٤

العَطَشُ، فقال الحسين عليه السلام لِغُلمانه: ((اسقوا القومَ ورَشِّفوا الخيل ترشيفاً))[1].

فأقبلوا يَسقون الرجال، ويملؤون القِصاع والطِساس ثمّ يُدنونها من الفرس، فإذا عَبَّ فيها ثلاثاً أو أربعاً عُزلَتْ وسَقَوا آخرهُ حتّى سقَوْهم جميعاً وخيولهم[2].

ولما التقى الحرّ مع الحسين عليه السلام قال له الحسين: ((أمَعَنا أم علينا؟)).

قال: بل عليك يا أبا عبد الله.

قال عليه السلام: ((إنّا لله وإنّا إليه راجعون)).

فلمّا حضرَتْ الصلاةُ أمر الحسين عليه السلام مؤذّنه الحجّاج بن مسروق الجُعفي أن يؤذّن فأذّن، فقال الحسين للحرّ: ((تُصلّي بأصحابك؟)).

قال: بل تصلّي أنت يا أبا عبد الله ونُصلّي بصلاتك.

فصلّى بهم الحسين عليه السلام، ولما فرغ من الصّلاة قال - بعد ما حَمِدَ الله وأثنى عليه -: ((أيّها النّاس، إنّي لم آتكم حتّى أتتني كُتُبكم، وقَدِمَتْ عَلَيّ رُسُلكم أنْ أقْدِمْ إلينا؛ فإنّه ليس لنا إمامٌ غيرك، لعلّ الله أنْ يجمعنا بك على الحقّ والهدى. فإنْ كنتم على ذلك فقد أتيتكم، فأعطوني به ما أطمئنّ من عهودكم ومواثيقكم، وإن كنتم لقدومي كارهين انصرفْتُ إلى المكان الّذي جئتُ منه))[3].

فقال له الحرّ: أنا والله ما أدري ما هذه الرّسل والكتب التي أنت تذكر.

---

(١)

سَقَيْتَ عِداكَ الماءَ مِنك تحنُّنا ... بأرضٍ فَلاة حيثُ لا يوجَدُ الماءُ

السيّد محمّد الكشميري - مقتل المقرّم / ١٨٣.

وقال الشيخ أحمد النحوي:

عَجَباً لهذا الخَلْقِ هلاّ أقبلوا ... كلٌّ إليكَ بروحه لك فادي

شعراء الحلّة ١ / ٧٠.

(٢) الإرشاد ٢ / ٧٩، طبع إيران، مقتل الحسين - للخوارزمي ١ / ٢٢٩، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٧٥، أعيان الشيعة ١ / ٥٩٦، تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٢.

(٣) الإرشاد ٢ / ٨٠، طبع إيران، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٧٦، أعيان الشيعة ١ / ٥٩٦، تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٣.

فصاح الحسين بعُقْبة بن سمعان[1]: ((يا عُقْبَةُ، أخرج الخُرجين اللذين فيهما كتبهم)). فأخرَجَ خُرجين مملوءين صُحُفاً فنُثرتْ بين يديه، فقال الحرّ: إنّا لسنا من هؤلاء الّذين كتبوا إليك، ولكن نحن أُمِرنا إذا نحن لقيناك لا نُفارقك حتّى نُقدمك الكوفة على ابن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: ((الموتُ أدنى إليك من ذلك))[2]. ثمّ أقبل على أصحابه فقال: ((قوموا واركبوا)). فركبوا وانتظروا حتّى إذا رُكِّبتْ النساءُ، قال لهم: ((سيروا)). فحال الحرّ بينهم وبين المسير، فقال الحسين عليه السلام للحُرّ: ((ثكلَتْكَ أُمُّك! ما تُريد؟)).

فقال له الحُرّ: أمّا لو غيرك من العرب يقول لي هذا، وهو مِثْلُ الحال التي أنت عليه، ما تركْتُ ذكر أُمّه بالثّكْل كائناً مَنْ كان، ولكنْ ما لي إلى ذِكْر أُمّك من سبيل إلاّ بأحسن ما نقدرُ عليه.

فقال له الحسين عليه السلام: ((ما تُريد؟!)). قال: أُريد أن أُقدمك الكوفة على ابن زياد. فقال عليه السلام: ((إذاً والله لا أتْبَعُك)). فقال: إذاً واللهِ لا أدَعُك.

فلمّا كثر الكلام بينهما اتّفقا على أنْ يأخذ الحسين عليه السلام طريقاً لا يدخله الكوفة ولا يردّه إلى المدينة، فتياسر الحسين عليه السلام عن طريق العُذَيْب[3]والقادسيّة[4].

ويُروى أنّ الطرمّاح تقدّم أمام الظعائن وجعل يقول[5]:

يـــا نـــاقَتي لا تَـــذْعَري مِـــنْ زَجْـــرِ ... واسْـــرِ بِنـــا قَبْـــلَ طُلُـــوعِ الفَجْـــرِ
بِـــخَيرِ فِـــتيانٍ وخَـــيرِ سِـــفْرِ ... آلِ رســـــولِ اللهِ آلِ الـــــفَخْرِ
الـــضَّارِبينَ بالسّـــيوفِ البُـــتْرِ ... الـــطاعِنينَ بالرِّمـــاحِ السُّـــمْرِ
يـــا مالـــكَ النَفْـــعِ معـــاً والضُـــرِّ ... أيِّـــد حُســـيناً سَـــيّدي بالنَّصْـــرِ
عـــلى الطُّغـــاةِ مِـــنْ بَقايـــا الكُفْـــرِ ... علـــى اللَّعِينَـــيْنِ سَـــليلَي صَـــخْرِ

---

(١) هو مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبيّة، زوجة الحسين عليه السلام . لما قُتل الحسين أخذه عمر بن سعد، فقال: ما أنت؟ قال: أنا عبدٌ مملوك. فخلّى سبيله، ولم ينجُ من أصحاب الحسين عليه السلام غيره وغير رجل آخر؛ ولذلك كان كثير من روايات الطفّ منقولاً عنه.

(٢) الفتوح ٥ / ٨٧، تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٣، مقتل الحسين - للخوارزمي ١ / ٢٣٢.

(٣) العذيب: واد لبني تميم، وهو حدّ السواد، وفيه مسلحة للفرس، بينه وبين القادسيّة ست أميال. وقيل له: عذيب الهجانات؛ لأنّ خيل النعمان ملك الحيرة ترعى فيه.

(٤) الإرشاد ٢ / ٨٣، طبع إيران، تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٤، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٢.

(٥) تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٥، البداية والنهاية ٨ / ١٨٧، مقتل الحسين - للخوارزمي ١ / ٢٣، نفس المهموم / ١٥٣، كامل الزيارات / ٩٥ مع اختلاف في العبارات والأبيات.

يَـــــزيدُ لا زالَ حَـــــليفَ الـــــخَمْرِ وابـــنُ زيـــادِ العُهْـــرِ وابـــنُ العُهْـــرِ[١]

وقال له الحرّ: يا أبا عبد الله، إنّي أُذكّرك الله في نفسك؛ فإنّي أشهد لئن قاتلْتَ لتُقْتلنّ.

فقال له الحسين عليه السلام: ((أبالموت تُخوّفني؟! وهلْ يعدو بكم الخَطْبُ أنْ تقتلوني؟! وما أدري ما أقول لك، ولكنّي أقول كما قال أخو الأوْس لابن عمّه وهو يريد نُصرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فخوّفه ابن عمّه وقال: أين تذهب فإنّك مقتولٌ. فقال[٢]:

سـأَمْضِي ومـا بـالموتِ عَـارٌ عَلَـى الفَـتَى إذا مـا نَـوى خـيراً[٣] وجاهـد مُسـلما

وآســـى الـــرجالَ الـــصّالحينَ بِـــنفسه وخـــالف[٤] مثبـــوراً[٥] وفـــارق[٦] مجرمـــا[٧]

أُقـــدّمُ نفـــسي لا أُريـــدُ بَقـــاءَها لِـــتلقى خَـــميساً فـــي الـــهِياجِ عَرَمْرَمـــا

---

(١)

طـــوّح الحـــادي والظّعـــن هـــاج ابحنينـــه او زينـــب تنـــادي ســـفرة الگشـــره علينـــه

صـــاحتْ ابكافلهـــا شـــديد العـــزم والبـــاس شَمّـــر اردانـــك وانشـــر البـــيرغ يعبّـــاس

چـــيّ أعاينهـــا مصـــيبه اتشـــيّب الـــراس مـــا ظَنّـــتي نرجـــع ابجمعتنـــه المدينـــه

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٥، الإرشاد ٢ / ٨٢، طبع إيران، البداية والنهاية ٨ / ١٨٧، الكامل ٢ / ٥٥٣.

(٣) في تاريخ الطبري بدل «خيراً» توجد كلمة «حقّاً»، وكذلك في البداية والنهاية، وفي الكامل «خيراً».

(٤) في تاريخ الطبري بدل «خالف» توجد كلمة «وفارق»، وفي الكامل كلمة «وخالف».

(٥) الثبر: اللعن.

(٦) في تاريخ الطبري بدل «وفارق» توجد كلمة «يَغُشُّ».

(٧) في تاريخ الطبري بدل «مجرما» توجد كلمة «ويُرغَما»، وفي الكامل توجد «وفارق مجرما».

فـإنْ عِشْـتُ لَمْ أنْـدَمْ وإنْ مِـتُّ لَمْ أُلَمْ كَفـى بـكَ ذُلاً أنْ تَعـيشَ وتُرْغَمـا))[1]

فلمّا سمع الحرّ ذلك من الحسين تنحّى عنه، فكان يسير بأصحابه ناحيةً حتّى انتهوا إلى عُذيب الهجّانات.

ورُوي أنّ الحسين عليه السلام وقف خطيباً عندما اعترضه الحرّ الرياحي، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال[2]: ((أيّها النّاس، إنّ رسول الله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً، مُستحلاً لِحُرَم الله، ناكِثاً لعهدِ الله، مُخالفاً لسنّة رسول الله، يَعْملُ في عباد اللهِ بالإثم والعُدوان فلم يُغيِّر ما عليه بفعل ولا قَوْل كان حقّاً على الله أنْ يُدخله مَدْخَلَهُ.

ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشّيطان وتركوا طاعة الرّحمن، وأظهروا الفَساد، وعطّلوا الحُدود، واسْتأثروا بالفَيء، وأحلّوا حرام اللهِ وحرّموا حلاله، وأنا أحقُّ مِن غَيري، وقد أتتني كُتُبكم ورُسُلكم (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ)[3])).

ثمّ سار والحُرّ يتْبعُهُ حتّى نزل نينوى، فأتى الحُرَّ كتابٌ من ابن زياد يأمره أن

---

(١)

هـــذه انتـــه يحســـين بعقـــول الأحـــرارْ هـــذه انتـــه يلحيّـــي بجميـــع الأدوارْ

هـــذه انتـــه يلتـــدوي بجميـــع الأقطـــار هـــذه انتـــه يلمهِّـــد دروب الثـــوّارْ

بهـــــل صـــــفات يرسمـــــوك ثـــــاير حيـــــي اسمّـــــوك

(مِن شعر المرحوم عبد الحسين أبو شبع)

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٤، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٢.

(٣) سورة الفتح / ١٠.

يُجَعْجِع بالحسين، ولا يُنزله إلاّ بالعَراء على غير ماء.

فأتى الحُرّ الحسين عليه السلام وأخبره بكتاب ابن زياد حتّى أنزله كربلاء يوم الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين[1]، فلمّا وصلها قال عليه السلام: ((ما اسمُ هذه الأرض؟)).

فقيل: كربلاء.

فقال: ((اللّهمّ أعوذ بك من الكَرْبِ والبلاء)). ثمّ أقبل على أصحابه فقال: ((النّاسُ عَبيدُ الدّنيا، والدّينُ لَعَقٌ على ألسنتهم، يحوطونه ما دَرَّتْ معايشُهمْ، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قَلَّ الديّانون)).

ثمّ قال عليه السلام: ((أهذه كربلاء؟)).

قالوا: نعم يابن رسول الله.

قال: ((انزلوا، هاهنا مُناخُ ركابنا، ومَحَطُّ رحالنا، ومَقْتل رجالنا، ومَسْفكُ دمائنا))[2][3]. ثمّ جمع ولْده وإخوَته وأهل بيته، ثمّ نظر

---

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٨٨ - ١٨٩، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٥، الإرشاد ٢ / ٨٥ - ٨٦، طبع إيران، تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٨ - ٣٠٩، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٨٠.

(٢) مقتل الحسين - للخوارزمي ١ / ٣٤، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٨٣.

(٣)

يقـــول ألا اخـــبروني مـــا اســـمُ أرضٍ ... أرانـــي كـــارهاً فـــيها نـــزولي

أبـــينوا مـــا اسمهـــا المشـــهور عنهـــا ... فـــقالوا كـــربلا يـــابن الرســـولِ

فـــقال هـــي الـــبلاء وفي ثراهـــا ... تُـــريقُ دمـــاءَنا أيـــدي الـــنغولِ

بـــها تـــضحى أعـــزّتنا أُســـارى ... يلـــوحُ عـــليهمُ كـــسرُ الـــذّليلِ

بهـــا تُـــسبى كـــرائمنا وفـــيها ... يتـــامانا تَـــعثّر فـــي الـــذّيولِ

القصيدة للخليعي - منتخب الطريحي / ٥٢.

أرض مـــثلج بالأراضـــي مـــا حـــوت ... بـــدور ظـــلّت بـــيج بالظلمـــه ضـــوت

آنـــه مـــا أدري بـــيوم اتـــسلّبت ... صـــدگ تـــستر لـــلوجه بـــيمينه

مِـــن نـــزل ســـبط النـــبي بـــرض الطفـــوف ... إجـــت لـــيه اعـــداه واعيالـــه تشـــوف

او زينـــب تگلّـــه يخويـــه اشـــهل الألـــوف ... هـــاي إلـــنه لـــو عـــلينه ازحوفهـــا

گلـــها يـــا زيـــنب علينـــه اتجمّعـــت ... والـــحربنه الـــيوم كـــلها اتولّمـــت

بـــايعتنه او نـــكثت البيعـــه او اجـــت ... او لا أمَـــل إلـــنه صـــفى بمعروفهـــا

الشعر للخطيب الشيخ جعفر الهلالي - أدب المنبر / ١١٤.

إليهم فبكى ساعةً، ثمّ قال: ((اللّهمّ إنّا عترةُ نبيّك محمّد، وقد أُزْعِجْنا وطُرْدْنا، وأُخرجنا عن حَرَم جدّنا، وتَعَدَّتْ بنو أُميّة علينا، فخُذْ لنا بِحَقِّنا، وانْصُرنا على القوم الظّالمين))[١].

ثمّ كتب الحرّ إلى ابن زياد يُخبره بذلك، فجَيَّش ابن زياد جَيشاً ولّى عليه عمر بن سعد، وهي أوّل راية سارتْ إلى حرب الحسين عليه السلام، وكان تحتها ستّةُ آلاف فارس، ثمّ دعا شَبَثَ بن رِبعي وعَقَدَ له رايةً وضمّ إليه أربعة آلاف فارس، ثمّ دعا[٢] بعروة بن قيس وعَقَدَ له رايةً على أربعة آلاف فارس، ثمّ دعا سِنان بن أنس وعَقَدَ له رايةً على أربعة آلاف فارس[٣][٤].

---

(١) مقتل الحسين - للمقرّم / ١٩٣.

(٢) في تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٠ بدل «عروة» «عزرة».

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٠ - ٣٢١، مقتل المقرّم / ٢٢٦.

(٤)

عشـــــــيّةَ أنهـــــــضَها بَـــــــغيُها ... فـــــــجاءته تـــــــركبُ طـــــــغيانَها

بِجَمْـــــعٍ مـــــن الأرضِ سَـــــدَّ الفـــــروج ... فـــــغطّى الـــــنجودَ وغـــــيطانَها

وســـــامَتْهُ يركـــــبُ إحـــــدى اثنتـــــين ... وقـــــد صَـــــرّتِ الحـــــربُ أســـــنانها

فـــــإمّا يُـــــرى مُـــــذعناً أو تمـــــوت ... نـــــفسٌ أبـــــى الـــــعِزُّ إذعانَهـــــا

فـــــقال لـــــها: اعتصـــــمي بالإبـــــا ... فـــــنفسُ الأبـــــيِّ ومـــــا زانَـــــها

إذا لـــــم تجـــــدْ غـــــيرَ لُـــــبْسِ الهَـــــوان ... فـــــبالموتِ تـــــنزعُ جُـــــثمانَها

رأى القَتْـــــلَ صـــــبراً شـــــعارَ الكـــــرام ... وفـــــخراً يـــــزينُ لـــــها شـــــانَها

فـــــشَمَّر لـــــلحربِ عـــــن معـــــركٍ ... بـــــه عَـــــرَكَ المـــــوتُ فرســـــانَها

وأضـــــرَمها لِـــــعنانِ الـــــسماء ... حمـــــراءَ تلـــــفحُ أعـــــنانَها

السيّد حيدر الحلّي - رياض المدح والرثاء / ٨٦.

وقام الحسين عليه السلام خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ((إنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد تَرَوْنَ، وإنّ الدّنيا قد تغيّرتْ وتنكّرتْ، وأدبر معروفها، ولم يَبْقَ منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء، وخَسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا تَرَوْنَ إلى الحقّ لا يُعْمَلُ به، والباطلِ لا يُتناهى عنه؟! لِيَرْغَبَ المؤمن في لقاء ربّه مُحِقاً؛ فإنّي لا أرى الموتَ إلاّ سعادةً، والحياةَ مع الظالمين إلاّ بَرَماً))[1].

فسمعه القوم فقالوا له: لم نفعل.

فقال عليه السلام: ((سبحان الله! بلى والله لقد فعلتم)).

ثمّ قال: ((أيّها النّاس، إذ كرهتموني فدَعُوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض)).

فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزِل على حُكْم بني عمّك؛ فإنّهم لن يُروكَ إلاّ ما تُحِب.

فقال له الحسين عليه السلام: ((لا والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذّليل، ولا أفرُّ فِرار العبيد))[2][3].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - لابن منظور ٧ / ١٤٦، تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٥، اللهوف / ٣٤، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٠٩.

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١٩٤، تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٣.

(٣)

فهيهات أنْ يستسلمَ الليثُ ضارعاً ... ويسلس منه لابن مَيسونَ مِقوَدا

فجرَّدَ بأساً مِن حسامٍ كأنّما ... بشفرتِهِ الموتُ الزؤام تجرّدا

الشيخ قاسم الملا - أدب الطفّ ١٠ / ٧٥.

ثمّ نادى: ((يا عباد الله، (إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ)[١] إنّي أَعُوذُ (بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسَابِ)[٢])). ثمّ إنّه أناخ راحلته، وأمر عُقْبة بن سمعان فعقلها.

وأقبلوا يزحفون نحوه[٣]، ودعا بفرسه فركبها، واستنْصتهم فأبوا أن ينصتوا، فقال لهم: ((ويلكم! ما عليكم أن تنصِتوا إليّ فتسمعوا قولي؟!))[٤]. فتلاومَ أصحاب عمر بن سعد بينهم، وقالوا: أنصتوا له.

فحمد الله وأثنى عليه، وذكره بما هو أهله، وصلّى على محمّد، وعلى الملائكة، والأنبياء والرّسل، وأبلغ في المقال، ثمّ قال: ((تبّاً لكم أيّتها الجماعةُ وترْحاً![٥] أحين استصرختمونا والِهين[٦] فأصْرخناكم موجفين، سَلَلْتُم[٧] علينا سَيفاً لنا[٨] في أيمانكم[٩]، وحَشَشْتُم[١٠]

---

(١) سورة الدخان / ٢٠.

(٢) أصل الآية من سورة غافر / ٢٧ (... إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسابِ) .

(٣)

أَتَتْـــهُ بِجُنْـــدٍ لـــيس يُحصـــى عَديـــدُه ولـــكنّه مِـــنْ يـــومِ بَـــدرٍ تَجَنّـــدا

وســـــامَوْهُ ذُلاً أن يســـــالِمَ طائعـــــاً يـــــزيداً وأن يعطـــــي لِبيعتـــــه يـــــدا

الشيخ قاسم الملا - أدب الطفّ ١٠ / ٧٥.

(٤) مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٦، تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) / ٢١٦.

(٥) التَرْحُ: نقيض الفرح.

(٦) في تاريخ ابن عساكر بدل «والهين» توجد «ولهين»، وكذلك في الاحتجاج.

(٧) في الاحتجاج ٢ / ٩٨، طبع دار الأسوة، بدل «سللتم» «فشحذتم»، وشحذ السكّين والسيف: أحدّه بالمسن.

(٨) في كلّ من الاحتجاج وتحف العقول / ١٨٣ بدل «لنا» «كان».

(٩) في الاحتجاج: في أيدينا، وفي تحف العقول: في أيماننا.

(١٠) حَشَشْتُ النار أحُشُّها: إذا ألهبتها وأضرمتها.

علينا ناراً اقتدَحْناها[١] على عدوّكم وعدوّنا، فأصبتحتم إلْباً[٢] على أوليائكم لأعدائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم إلاّ الحرام من الدّنيا أنالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه من غير حدث كان منّا، ولا رأي تفيَّل لنا.

فهلاّ - لكم الويلات! - إذْ كرهتمونا وتركتمونا تجهّزْتموها، والسّيف مَشيمٌ[٣]، والجَأشُ[٤] طامِنٌ، والرّأيُ لما يُسْتَحْصَفُ[٥]؟ ولكنْ أسرعتم إليها[٦] كطيرةِ الدّبا[٧]، وتداعيتم إليها كتداعي الفراش، فسُحْقاً لكم يا عبيدَ الأمَةِ، وشُذّاذ الأحزاب، ونَبَذَةَ الكتاب، ونَفَثَةَ الشّيطان، وعُصْبَةَ الآثام، ومُحرِّفي الكتاب، ومُطفئي السُنَن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومُبيدي عترة الأوصياء، ومُلحقي العِهارِ بالنسب، ومُؤذي المؤمنين، وصُرّاخَ أئمّة المستهزئين الّذين جعلوا القُرآن عِضين (لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي العَذابِ هُمْ خالِدون)[٨]!

أنتم، ابن حَرْب وأشياعه تعضدون وعنّا تَخاذلون! أجَلْ واللهِ، الخَذْلُ فيكم معروفٌ؛ وَشَجَتْ[٩] عليه أُصولكم، وتأزّرت[١٠] عليه فروعكم[١١]، فكنتم أخبثَ ثَمَر شجاً[١٢] للناظر، وأكلةً للغاصب، ألا لعنةُ الله على النّاكثين الّذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، فأنتم والله هُمْ.

ألا وإنّ الدّعي[١٣] ابن الدّعي قد رَكَزَ بين اثنتين؛ بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة؛ يأبى اللهُ ذلك لنا ورسوله والمؤمنون،

---

(١) في الاحتجاج بدل «اقتدحناها» «أضرمناها».

(٢) الإلب - بالفتح والكسر: القوم يجتمعون على عداوة إنسان.

(٣) في الاحتجاج «مُشيّم»، والشيم من الأضداد يكون سلاً وإغماداً.

(٤) الجأش: القلب والنفس والجنان.

(٥) إحصافُ الأمر: إحكامه.

(٦) في الاحتجاج: استسرعتم إلى بيعتنا.

(٧) الدّبا - مقصورة -: الجراد قبل أن يطير.

(٨) سورة المائدة / ٨٠.

(٩) في الاحتجاج بدل «وشجت» «نبتت».

(١٠) الأزر: القوّة والشدّة.

(١١) في الاحتجاج بدل «فروعكم» «عروقكم».

(١٢) هكذا في تحف العقول، وفي الاحتجاج واللهوف «شجر».

(١٣) الدّعي - كَغَنِيّ -: المتّهم في نسبه.

وحُجُورٌ طابتْ، وجُدودٌ طَهُرَتْ، وأنوفٌ حميّة، ونفوسٌ أبيّة لا نُؤْثِرُ[1] طاعة اللئام على مصارع الكِرام[2]. ألا قدْ أعْذرْتُ وأنذرتُ، ألا وإنّي زاحفٌ بهذه الأُسرة مع قلّة العدد وكثرةِ العدوّ وخُذلان النّاصر)).

ثمّ وصل عليه السلام كلامه بأبيات فروةَ بن مَسيك المرادي، فقال: ((

فَـــإنْ نَـــهْزِمْ فَهزّامـــونَ قِـــدْما ... وإنْ نُـــغْلَبْ فَغَيْـــرُ مُغَلَّبينـــا[3]

ومـــا إنْ طِـــبُّنا جُـــبْنٌ ولكِـــنْ ... مَـــنايانا وَدَوْلَـــةُ[4] آخرينـــا

إذا مـــا المَـــوْتُ رَفَّـــع عـــن أُنـــاس ... كلاكِـــلَهُ أنـــاخَ بِـــآخرينا

فَـــأفنى ذلـــكم سَـــراواتِ قَـــوْمٍ ... كـــما أفـــنى القُـــرُونَ الأوّلينـــا

فَـــلَوْ خَلُـــدَ الملـــوكُ إذَنْ خَلُـــدْنا ... وَلَـــو بَـــقِيَ الكِـــرامُ إذَنْ بَقِينـــا

فَـــقُلْ لـــلشَّامِتينَ بـــنا أَفِيقـــوا ... سَـــيَلقى الشَّـــامِتُونَ كمـــا لَقِينـــا[5]

ثمّ لا تَلْبَثون إلاّ كَرَيْثِ ما يُرْكَبُ الفرسُ حتّى تدور بكم دَوْرَ الرَّحى، وتَقْلَقُ بكم قَلَقَ المِحْوَر[6]؛ عَهْدٌ عهده إليّ أبي عن جدّي، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ

---

(١) في كلٍّ من (اللهوف) و(الاحتجاج) و(تحف العقول) بدل «لا نؤثر» «أن نؤثر».

(٢)

عَـــزَّ الحســـينُ وجَـــلَّ عـــن أن يشـــتري ... جُـــمَّ الـــخطايا طـــائش الأهـــواءِ

إلى أن يـــــموت ولا يـــــوالي مارِقـــــاً ... ريّ الغـــــليل بـــــخطّة نـــــكراءِ

بدر شاكر السيّاب - أدب الطفّ ١٠ / ١٧٣.

(٣) هكذا في اللهوف، أمّا في الاحتجاج وتاريخ ابن عساكر فهي كالآتي:

فـــإنْ نهـــزِم فهزّامـــون قِـــدماً ... وإنْ نُهـــزَم فَغـــيرُ مهزّمينـــا

(٤) في تاريخ ابن عساكر بدل «دولة» «طعمة».

(٥) اللهوف / ٤٢ - ٤٣، الاحتجاج ٢ / ١٠٠، طبع دار الأسوة - إيران، تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) حديث ٢٧٣، مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٦ - ٧، تحف العقول / ١٧٣ - ١٧٤ (من دون ذكر الشعر).

(٦) هو العود الذي تدور عليه البكرة، وربما كان من حديد. (المؤلّف).

عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنْظِرُونِ)، (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)))[1].

وعن كثير بن عبد الله الشعبيّ قال: لما زَحفنا قِبَلَ الحسين عليه السلام خرج إلينا زُهير بن القَيْن على فرس له ذَنوب، شاكٌّ[2] في السّلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذارِ لكم من عذاب اللهِ نَذارِ، إنّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوةٌ على دين واحد وملّة وحدة ما لمْ يَقَع بيننا وبينكم السّيف، وأنتم للنّصيحة منّا أهلٌ، فإذا وقع السّيف انقطعت العِصمة، وكنّا نحن أُمّة وأنتم أُمّة.

إنّ الله قد ابتلانا وإيّاكم بذريّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله لِيَنْظُر ما نحن وأنتم عاملون؛ إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخُذْلان الطّاغية ابن الطّاغية عُبيد الله بن زياد؛ فإنّكم لا تُدركون منهما إلاّ سُوءاً؛ يُسمّلانِ أعيُنكم، ويقطعان أيديَكم وأرجُلَكم، ويُمثّلان بكم، ويرفعانكم على جُذوع النّخْلِ، ويقتلان أماثِلكُم وقرّاءكم، أمثال حُجْرِ بن عَديّ وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه.

قال: فَسَبّوه[3] واثنوا على ابن زياد، وقالوا: والله لا نبرحُ حتّى نقتل صاحبك ومَنْ معه، أو نَبْعَث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله بن زياد سِلْماً.

فقال لهم: يا عباد الله، إنّ وُلْدَ فاطمة أحقّ بالودّ والنّصر من ابن سُمَيّة، فإنْ لم تنصروهم فأُعيذكم باللهِ أنْ تقتلوهم؛ فلَعَمْري إنّ يزيد لَيَرْضى من طاعتكم بدون قَتْل الحسين[4].

---

(١) اللهوف / ٤٣، تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) حديث ٢٧٣.

(٢) أي تامّ السّلاح.

(٣) والنسا مِن خلفها بالأثر.

السيّد عبد الهادي الشيرازي - أدب الطفّ ١٠ / ١٦٤.

(٤) تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٣ - ٣٢٤، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٢ - ٥٦٣، البداية والنهاية ٨ / ١٩٤ - ١٩٥.

ثمّ كتب ابن زياد إلى ابن سعد: حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منهُ قطرةً. فمُنِعَت المشرعةُ عن الحسين، وذلك قَبْل قَتْلِ الحسين بثلاثة أيّام[١]. واستسقى العبّاس بن عليّ عليهما السلام الماء مرّتين لأصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته؛ ولذلك سُمّي بالسّقا[٢].

وضيّق القوم على الحسين عليه السلام [٣] حتّى نال منه العطش ومن أصحابه، فقال له بُرير بن خُضير الهمداني[٤]: يابن رسول الله، أتأذن لي أنْ أخرج إلى القوم؟

فأذن له، فخرج إليهم فقال[٥]: يا معشر النّاس، إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً، وهذا ماءُ الفرات تَقَعُ فيه خنازير السَّوادِ وكلابُه، وقد حِيلَ بينه وبين ابنه.

فقالوا: يا بُرَيرُ، قد أكثرْتَ الكلام فاكْفُفْ، واللهِ ليعْطَشُ الحسين كما عطش مَنْ كان قَبْلَه[٦].

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣١١، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٦.

(٢) مقتل الحسين - للمقرّم / ٢٠٣، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٦.

(٣)

مَشَتْ يَوْمَ عاشوراءَ عُمياً فلم تَدَعْ ... لها جانباً إلاّ اعتراهُ فَلولُ

تُحطِّمُ مِنْ عَليا عليٍّ وأحمدٍ ... لِوا هُو ظِلٌّ للأنامِ ظَليلُ

وتفري بظفر البغي نحر ابنِ سيّدٍ ... به ملكتها عامر وسلولُ

وتقتلُ مِن أبناء حيدرَ أُسرة ... تميلُ المعالي الغُرّ حيث تميلُ

وتذبُح أطفالاً أبى اللهُ أن يَرى ... لِذابِحها في الهالكينَ مثيلُ

الشيخ حبيب المهاجر - أدب الطفّ ١٠ / ١٨٢.

(٤) هذه الشخصيّة العظيمة يوجد في اسمه واسم أبيه خلاف؛ تارة يُقال: برير، وأُخرى: بريد، وثالثة: يزيد بن الحصين (كما في الأمالي)، ويُقال لأبيه: خضير، وأُخرى: حضير، وثالثة: حصين، ولكن يظهر من رجزه أنّه: برير بن خضير.

(٥) أمالي الصدوق / ١٣٥، مقتل الحسين - للمقرّم / ٢٣٣، اللهوف / ٣٧.

(٦)

قابَلُوهُ بأوْجُه وقُلُوبٍ ... شَأْنُها الغَدْرُ مِلْؤها البَغْضاءُ

جمعوا رأيهم إلى الحربِ لمّا ... لَعِبَتْ في عقولهم صَهباءُ

عبد الكريم العلاّف - أدب الطفّ ١٠ / ٢٥٠.

فقال الحسين عليه السلام: ((اقْعُدْ يا بُرَيْرُ)). ثمّ وثب الحسين عليه السلام متوكّئاً على قائم سَيفه، ونادى بأعلى صَوْتِهِ فقال: ((أُنْشدُكم الله، هل تعرفونني؟)). قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه. قال: ((أُنشدكم الله، هل تعلمون أنّ جدّي رسول الله؟)). قالوا: اللّهمّ نعم. قال: ((أُنشدكم الله، هل تعلمون أنّ أُمّي فاطمة بنت محمّد؟)). قالوا: اللّهم نعم. قال: ((أُنشدكم الله، هل تعلمون أنّ أبي عليّ بنُ أبي طالب؟))[1].

قالوا: اللّهمّ نعم. قال: ((أُنشدكم الله، هل تعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خويلد أوّل نساء هذه الأُمّة إسلاماً؟)). قالوا: اللّهمّ نعم. قال: ((أُنشدكم الله، هل تعلمون أنّ سيّد الشهداء حمزةَ عمّ أبي؟)). قالوا: اللّهمّ نعم. قال: ((أُنشدكم الله، هل تعلمون أنّ الطيّار في الجنّة عمّي؟)). قالوا: اللّهمّ نعم. قال: ((أُنشدكم الله، هل تعلمون أنّ هذا سيفُ رسول الله أنا مُتقلّده؟)). قالوا: اللّهمّ نعم. قال: ((أُنشدكم الله، هل تعلمون أنّ هذه عِمامَة رسول الله أنا لابسها؟)). قالوا: اللّهمّ نعم. قال: ((أُنشدكم الله، هل تعلمون أنّ عليّاً كان أوّل القَومِ إسلاماً، وأعلمهم عِلْماً؟)). قالوا: اللّهمّ نعم. قال: ((فَبِمَ تستحلّون دمي وأبي الذّائدُ عن الحوض يذود عنه رِجالاً كما يُذادُ البعير الصّادي عن الماء؟!)). قالوا: قد عَلِمْنا ذلك كلّه، ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً[2].

---

(١)

وأبـــي عـــليٌّ مَـــن تـــردّى بُـــردةً ... لـــلفخرِ تـــلثمها النجـــومُ ذيـــولا

والأُمُّ فاطمـــةُ الـــتي في القـــرط مـــن ... عـــرش المهـــيمن كانـــت القنـــديلا

وأنـــا الـــذي هـــزَّ الملائـــكُ مَهـــدَهُ ... .

الشيخ عبد الكريم صادق - أدب الطفّ ١٠ / ٢٧٣.

(٢)

أحـــسينُ للـــدّين الحنيـــفِ وللإبـــا ... وكـــلاهما لـــك قـــد غـــدا مكفـــولا

جَـــرَّدْتَ عَزْمَـــكَ ثـــائراً وشـــحذته ... ســـيفاً أغـــرّ وســـاعداً مفتـــولا

فوقفـــتَ إذْ عَـــبَسَ الفـــوارسُ باسمـــاً ... وتـــهزّ فيهـــا الصـــارِمُ المصـــقولا

الشيخ عبد الكريم صادق - أدب الطفّ ١٠ / ٢٧٤.

ونهض عمر بن سعد عشيّة الخميس لتِسْع مضَيْنَ من المحرّم بعد ما جاءه شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله يأمره بقتال الحسين عليه السلام، أو يُخلّي بين شمر وبين العسْكر[1]، ونادى: يا خَيْلَ الله اركبي وأبشري بالجنّة.

فركب العسكر وزحف نحو الحسين عليه السلام، فقال العبّاس عليه السلام: يا أخي، أتاك القوم[2]. فنهض عليه السلام وأمر العبّاس بالرّكوب إليهم، وقال: ((قل لهم ما لكم، وما بدا لكم؟)).

فأتاهم العبّاس عليه السلام في نحو من عشرين فارساً، فيهم زهير بن القَين وحبيب بن مُظاهر، فقال لهم العبّاس عليه السلام: ما بدا لكم، وما تُريدون؟

قالوا: قد جاء أمر الأمير أن نَعْرض عليكم أن تنزلوا على حُكمه أو نناجزكم.

قال: فلا تعجلوا حتّى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرضَ عليه ما ذَكَرْتُم.

وانصرف العبّاس عليه السلام راجعاً يركُضُ، ووقف أصحابه يُخاطبون القوم، فقال حبيب بن مُظاهر لزُهير: كَلِّمِ القوم إنْ شئتَ، وإنْ شئتَ كلّمْتُهُم. فقال زُهير: أنت بدأتَ بهذا، فكُنْ أنت تُكلّمهم. فوعظ وأطنب بالموعظة.

قال: وأقبل العبّاس إلى الحسين عليه السلام فأخبره بما قال القوم، قال: ((ارْجِعْ إليهم، فإن استطعتَ أَنْ تؤخّرهم وتدفعهم عنّا هذه العشيّة؛ لعلّنا نُصلّي لربّنا اللّيلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم إنّي أُحبُّ الصّلاة له، وتلاوة كتابه، وكَثْرة الاستغفار)).

فمضى العبّاس عليه السلام إلى القوم وسألهم ذلك، فوقف عمر بن سعد وقال للشّمر: ما تقول؟

فقال: أمّا أنا لو كنت الأمير لم أُنْظِرْهُ.

فقال عمرو بن الحجّاج الزّبيدي: ويلكم! واللهِ لو أنّهم من التّرك والدّيلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آلُ محمّد؟

فأمر ابن سعد مُناديه فنادى: قد أجّلنا حسيناً وأصحابه يومهم وليلتهم[3].

فدعا الحسين بأصحابه وأمرهم أن يُقرّب بعضهم بيوتهم من بعض، وأن يُدْخِلوا الأطناب بعضها في بعض حتّى يستقبلوا القوم بوجه واحد، وأمر بحفر خَندق حول

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٤، البداية والنهاية ٨ / ١٩٠، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٥، البداية والنهاية ٨ / ١٩١، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٨.

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٧، الإرشاد ٢ / ٩٣، طبع إيران، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٩.

المخيّم وأن يوضَعَ فيه حطبٌ[١].

وقام الليل كلّه يُصلّي ويستغفر، ويدعو ويتضرّع، وقام أصحابه كذلك[٢]، وباتوا ولهم دويٌّ كدويّ النّحل ما بين راكع وساجد، وقائم وقاعد[٣].

سِـمَةُ العَبيـدِ مِـنَ الخُشـوعِ عَلَـيهِمُ ... للـهِ إنْ ضَـمَّتْهُمُ الأَسـحارُ

وإذا تَرجّلـتِ الضـحى شـهدتْ لهـم ... بـيضُ القَواضِـبِ أنَّهـم أحـرارُ[٤]

وجمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء. قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: ((فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم - وأنا إذ ذاك مريض - فسمعت أبي يقول[٥]: أثني على الله أحسن الثّناء، وأحمدهُ على السرّاء والضرّاء. اللّهمّ إنّي أحمدُك على ما أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القُرآنَ، وفقّهتنا في الدّين، وجعلْتَ لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً ولم تجعلنا من المشركين.

أمّا بعدُ، فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خَيراً مِنْ أصحابي، ولا أهل بيت أبَرَّ وأوصلَ ولا أفضل مِن أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً. ألا وإنّي قد أذِنْتُ لكم في حِلٍّ ليس عليكم منّي ذِمامٌ، هذا اللّيلُ قد غشيَكم فاتّخذوهُ جَمَلاً، ثمّ ليأْخُذ كُلُّ رَجُل منكم بِيَدِ رجل من أهل بيتي، ثمّ تفرّقوا في سوادكم ومدائنكم حتّى يُفرّج الله؛ فإنّ القوم إنّما يطلبونني، ولو قد أصابوني لَلَهو عن طلب غيري.

فقال له إخوته وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولِمَ نفعل ذلك! لنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العبّاس بن عليّ، وأتْبَعَتْهُ الجماعة فتكلّموا بمثله ونحوه،

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٠، الإرشاد ٢ / ٩٣، طبع إيران، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٩.

(٢) السيّد محسن الأمين - الدرّ النضيد / ٢٣.

(٣) اللهوف / ٤١.

(٤) للسيّد حيدر الحلّي، رياض المدح والرثاء / ٦٠.

(٥) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٧، الإرشاد ٢ / ٩٣، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٩، أعيان الشيعة ١ / ٦٠٠.

فقال الحسين: يا بَني عقيل، حسبكم من القتل بمُسلم، فاذهبوا أنتم فقد أذِنْتُ لكم.

قالوا: سبحان الله! فما يقول النّاس لنا! إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عُمومتنا خير الأعمام، ولم نَرْمِ معهم بسَهم، ولم نطعنْ برُمح، ولم نضرب معهم بسيف؟! لا والله لا نفعل ذلك، ولكن نَفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونُقاتل معك حتّى نَرِدَ مَوردَكَ، فقبّح الله العَيش بعدك[1][2].

وقام مسلم بن عوسجة ﷺ فقال[3]: أنحنُ نُخلّي عنك؟! وبِمَ نعتذر إلى الله في أداء حقّك؟! أما والله لا أُفارقك حتّى أطعنَ في صدورهم برُمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمهُ في يدي، ولو لم يكن معي سلاحٌ أُقاتلهم به لقَذَفْتُهُم بالحجارة. والله لا نُخلّيك حتّى يعلم الله إنّا قد حفظنا غَيْبَةَ رسول الله فيك.

والله لو علمتُ أنّي أُقتلُ ثمّ أُحيا، ثمّ أُقتلُ ثمّ أُحرق ثمّ أُذَرَّى، يُفْعَلُ ذلك بي سبعين مرّة ما فارقْتُك حتّى ألقى حِمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدةٌ ثمّ هي الكرامة العُظمى التي لا انقضاء لها أبداً؟!

وقام زهير بن القَين ﷺ فقال[4]: والله، لوَدَدْتُ أنّي قُتلتُ ثمّ نُشرْتُ ثمّ قُتِلْت حتّى أُقتل هكذا ألْف مرّة وأنّ الله جلّ وعزّ يدفعُ بذلك القَتْل عن نفسك وعن هؤلاء الفِتيان من أهل بيتك.

وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يَشبه بعضه بعضاً، فجزّاهم الحسين خيراً وقال: يا قوم، إنّي

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٨، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٩، الإرشاد ٢ / ٩٤، طبع إيران.

(٢)

قال اذهبوا وانجوا ونجّوا أهل بيـ ... ـتي إنّني وحدي أنا المطلوبُ

فَأَبَتْ نُفُوسُهُم الأبيّةُ عند ذا ... أنْ يتركوه مع العِدا ويئيبوا

ماذا يقولُ لنا الورى ونقولُه ... لهم وما عنّا يُجيبُ مُجيبُ

إنّا تركنا شيخنا وإمامنا ... بين العِدى وحُسامنا مقروبُ

فالعيشُ بعدك قُبِّحَتْ أيّامه ... والموتُ فيك مُحبَّبٌ مرغوبُ

السيّد محسن الأمين - الدرّ النضيد / ٢٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٢١٨، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٩، الإرشاد ٢ / ٩٥، طبع إيران، اللهوف / ٤٠.

(٤) الإرشاد ٢ / ٩٥، طبع إيران، تاريخ الطبري ٤ / ٣١٨، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٥٩، اللهوف / ٤١.

غداً أُقتل وتُقْتَلون كُلّكم معي، ولا يبقى منكم أحدٌ. فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك، وشرّفنا بالقَتْل معك؛ أوَلا ترضى أنْ نكون معك في درجتك يابن رسول الله؟ فدعا لهم بخير.

وقال له القاسم بن الحسن عليه السلام: وأنا فيمَنْ يُقتل؟ فأشفق عليه، فقال له: يا بُنيّ، كيف الموتُ عندك؟ قال: يا عمّ، أحلى من العسل. فقال: فداك عمُّكَ! إنّك لأَحدُ مَنْ يُقْتَلُ من الرّجال معي بعد أنْ تَبْلُو ببلاءٍ عظيم))[1][2].

قال السيّد[3]: وعَبَرَ في تلك اللّيلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً من أهل الكوفة، فقالوا: يعرضُ عليكم ابن بنت رسول الله الذّهاب إلى الأرض العريضة فلا تَقبلون؟! وتحوّلوا مع الحسين وقاتلوا وقُتِلوا معه.

وأصبح الحسين عليه السلام فصلّى[4] بأصحابه الفجر، ثمّ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وقال لأصحابه: ((إنّ الله عزّ وجلّ قد أذِنَ في قَتْلكم اليوم وقَتلي، وعليكم بالصّبر)).

ثمّ دعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله المرْتَجَز فركبه، وعبّأ أصحابه للقتال، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً[5]؛ فجعل في الميمنة زُهير بن القَين، وحبيب بن مُظاهر في الميسرة، وأعطى رايته

---

(١) مدينة المعاجز ٤ / ٢١٤، نفس المهموم / ٢٣٠، ناسخ التواريخ ٢ / ٢٢٠، الإرشاد ٢ / ٩٥، طبع إيران، تاريخ الطبري ٤ / ٣١٨.

(٢)

كُماةٌ إذا ما الشوسُ في الحربِ شَمَّرَتْ ... أباحوا القنا أحشاءهم والتراقيا

أُسود إذا ما جرّدوا البِيضَ في الوغى ... غدت مِن دَمِ الأبطال حُمْراً قوانيا

الشيخ حسّون العبد الله - أدب الطفّ ٨ / ٤٤.

(٣) ذكر السيّد ابن طاووس هذا الخبر في اللهوف / ٤١، وكذلك ذكره القرشي نقلاً عن تهذيب التهذيب ١ / ١٥٢، وذكره ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام / ٢٢٠.

(٤) كامل الزيارات / ٧٣، إثبات الوصيّة / ١٣٩.

(٥) اختلفوا في عدد أصحاب الحسين عليه السلام، وهذه أبرز الأقوال:

الأوّل: عددهم ٣٢ فارساً و٤٠ راجلاً، وهو رأي المفيد والطبري وابن الأثير وغيرهم.

الثاني: عددهم ٨٢ راجلاً، وهو رأي صاحب الدمعة الساكبة.

الثالث: عددهم ٦٠ راجلاً، وهو رأي الدميري في حياة الحيوان.

الرابع: عددهم ٧٣ راجلاً، وهو رأي صاحب شرح مقامات الحريري.

الخامس: عددهم ٤٥ فارساً و١٠٠ راجلاً، وهو رأي ابن عساكر.

السادس: عددهم ٦١ راجلاً، وهو رأي المسعودي.

أخاه العبّاس[1]، وجعلوا البيوت في ظهورهم.

وأصبح عمر بن سعد في ذلك اليوم وجعل على مَيمنته عَمرو بن الحجّاج الزُّبيدي، وعلى مَيسرته شمر بن ذي الجوشن، وأعطى رايته دُرَيداً مولاهُ[2][3].

ثمّ ركب الحسين دابّته، ودعا بمصحف فوضعه أمامه، ورفع يديه وقال[4]: ((اللّهمّ أنت ثِقتي في كلّ كَرْب، وأنت رجائي في كُلِّ شدّة، وأنت لي في كُلِّ أمْر نَزلَ بي ثِقَةٌ وعُدَّةٌ. كَمْ من هَمٍّ يَضْعُفُ فيه الفؤاد، وتَقِلُّ فيه الحيلةُ، ويَخْذِل فيه الصّديقُ، ويَشْمِتُ فيه العَدوّ أنزلْتُهُ بك وشَكَوْتُهُ إليك؛ رَغْبَةً منّي إليك عمّن سِواك، ففرَّجْتَهُ عنّي وكَشَفْتَهُ، فأنت وليُّ كُلِّ نِعمة، وصاحب كُلّ حَسَنة، ومُنتهى كُلِّ رغبة)).

ولما دنا منه القوم دعا براحلته فركبها، ثمّ نادى بأعلى صوته يسمعه جُلُّ النّاس:

---

(١) مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣٢١، وفيه بدل «دريداً» «ذُوَيداً».

(٣)

كَـأَنَّك مـا تـدري لَـدى الطـفّ مـا جـرى ... ومَـــن بِـــثراها لا أبـــاً لـــك صُـــرِّعوا

غَـــداةَ بـــنو حَـــرْبٍ لحـــربِ ابـــن أحمـــدٍ ... أتَـــتْ مِـــن أقاصـــي الأرض تـــترى وتَهـــرعُ

بـــكثرتها ضـــاق الـــفضاءُ فـــلا يُـــرى ... .

الشيخ حسّون العبد الله - أدب الطفّ ٨ / ٤٨.

(٤) تاريخ الطبري ٤ / ٣٢١، الإرشاد ٢ / ٩٩، طبع إيران، مختصر تاريخ دمشق - لابن منظور ٧ / ١٤٦، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦١.

((أيّها النّاس، اسمعوا قَولي ولا تعجلوا حتّى أعِظُكُم بما يَحِقُّ لكم عَلَيّ، وحتّى أعْذرُ إليكم من مَقْدَمي عليكم؛ فإنْ قَبِلْتُم عُذْري، وصدَّقْتُم قَولي، وأَعْطيتموني النَّصْفَ كنتم بذلك أسْعد، ولم يكُنْ لكم عَلَيّ سبيلٌ، وإن لم تَقبلوا منّي العُذْرَ، ولم تُعطوني النَّصْفَ من أنفسكم (فَـأَجْمِعُوآ أَمْرَكُم وشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إليَّ ولا تُنْظِرُون)[1]، (إنّ وَلِيّيَ اللهُ الّذي نَزَّلَ الكِتابَ وَهَوَ يَتَولّى الصّالحين)[2]))[3].

قال[4]: فلمّا سمع أَخَواتُهُ كلامَه هذا صِحْنَ وبكَيْن، وبكتْ بناته، فارتفعت أصواتهنّ، فأرسل إليهنّ أخاه العبّاس وابنه عليّاً، وقال لهما: ((سَكّتاهنّ، فلَعَمْري لَيَطولُ بكاؤهنّ))[5].

فلمّا سكَتْن حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلّى على النبيّ وعلى

---

(١) سورة يونس / ٧١.

(٢) سورة الأعراف / ١٩٦.

(٣) الشيخ حسّون العبد الله - أدب الطفّ ٨ / ٥٠.

(٤) القائل هو الضحّاك المشرقيّ كما في تاريخ الطبري ٤ / ٣٢١.

(٥)

يـــدعو ولـــيس يـــرى لـــه مِـــن ناصِـــرٍ ... إلاّ الـــمثقّف والحســـام المرهـــفُ

والـــصائبات مِـــن الســـهام كأنّهـــا الـــ ... أقـــدارُ لا تـــنبو ولا تتخلّـــفُ

فرهاد ميرزا القاجاري - أدب الطفّ ٨ / ٥٨.

ملائكة الله وأنبيائه، فلم يُسْمَع مُتكلّم قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه.

لَــهُ مِــنْ عَلــيٍّ في الحُــروبِ شَــجَاعةٌ ومِــنْ أحمــدٍ عِنْــدَ الخَطابــةِ قيــلُ[1]

ثمّ قال: ((أمّا بعد، فانسبوني وانظروا مَن أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتِبوها، فانظروا هل يصلح لكم قَتلي وانتهاك حرمتي؟! ألستُ ابن بنت نبيّكم، وابنَ وصيّه وابن عمّهِ، وأوّل المؤمنين باللهِ، المصدّق لرسول الله ﷺ بما جاء به من عند ربّه[2]؟!

أوَ ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟! أوَ ليس جعفر الطيّار في الجنّة بجَناحين عمّي؟! أوَلَم يبْلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟! فإنْ صدّقتموني بما أقولُ، وهو الحقُّ، فوالله ما تعمّدْتُ كذباً مُنذ عَلمتُ أنّ الله يمقتُ عليه أهله.

وإن كذّبتموني فاسألوا مَنْ إن سألتموه عن ذلك أخبركم؛ سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخِدري، وسهل بن سعد السّاعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك يُخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجزٌ لكم عن سَفْك دمي؟!)).

فقال له شَمِرُ بن ذي الجوشن[3]: هُوَ يعبدُ الله على حرف إنْ كان يدري ما يقول.

فقال له حبيب بن مُظاهر: والله، إنّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادقٌ ما تدري ما يقول؛ قد طبع الله على قلبك.

ثمّ قال لهم الحسين عليه السلام: ((فإن كنتم في شكٍّ من هذا أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم؟!

---

(١) المجالس السنيّة ١ / ٩٢، الطبعة الخامسة / ١٣٩٤ هـ.

(٢)

قــــال انســــبوني في أبي ومحمّــــدٍ جَــــدّي وفاطمــــة البتــــول وأنصِــــفوا

وكــــأنَّ معجــــزة الكلــــيم بكفّــــه .....

فرهاد ميرزا القاجاري - أدب الطفّ ٨ / ٥٨.

(٣) شَمِر كـ «كَتِف»، هذا هو الصحيح، والبعض يلفظ بالكسر فالكسون، والظاهر أنّه غلط. وفي تاريخ الطبري والكامل في التاريخ جاء اسمه كما ذكرناه.

فوالله ما بين المشرق والمغرب ابنُ بنت نبيٍّ غيري فيكم ولا في غيركم. ويحكم! أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال استهلكته، أو بقصاصِ جَراحة؟!)).

فأخذوا لا يُكلّمونه، فنادى: ((يا شبثَ بن ربعي، ويا حجّار بن أبجُر، ويا قَيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أنْ قد أيْنعت الثّمار، واخْضَرَّ الجَناب، وإنّما تَقْدِمُ على جُنْد لك مُجنّد، فأقبِلْ؟!))[1][2].

فرماه[3] شَمِرُ بسهم وقال له: اسكت، أسكتَ اللهُ نَأمتك (أي صوتكَ)، أبْرمتنا بكَثرة كلامك. فقال له زهير: يابن البوّال على عَقِبَيه! ما إيّاك أُخاطب؛ إنّما أنت بهيمةٌ، والله ما أظنُّك تُحْكِمُ من كتاب الله آيتين، فَأَبْشِر بالخِزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال الشمر: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة. قال: أفبالموت تُخوّفني؟! فوالله لَلموت معه أحبُّ إليّ من الخُلْد معكم. ثمّ أقبل على النّاس رافعاً صوته فقال: عباد الله، لا يغرّنّكم من دينكم هذا الجِلْفُ الجافي وأشباهه؛ فوالله لا تَنَال شفاعةُ محمّد قوماً أهرقوا دماء ذرّيّته وأهل بيته، وقتلوا مَنْ نصرهم وذَبَّ عن حريمهم.

قال[4]: فناداه رجلٌ، فقال له: إنّ أبا عبد الله عليه السلام يقول لك: ((أقبِلْ، فلَعَمري

---

(١) الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٢، تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٣، الإرشاد ٢ / ١٠١، بحار الأنوار ٤٥ / ٦.

(٢)

وذادوه عـــــن ورد الفُـــــراتِ ومَـــــا دَرَوا	بـــــأنّ نِـــــداهُ لـــــلوجود قُـــــوامُ
ورامـــــوه قســـــراً أن يُضـــــام بســـــلمه	يزيـــــدَ وهـــــل ربُّ الإبـــــاء يُضـــــامُ
فَـــــهَبَّ لِـــــلُقياهُم وجَـــــرَّدَ عَزْمَـــــهُ	لـــــها الحَتْـــــفُ عَبْـــــدٌ والقضـــــاءُ غُـــــلامُ
وقـــــابلهم مِـــــن نفســـــه بكتائـــــب	.....

الشيخ عبد الله القاري - أدب الطفّ ٨ / ٨٤.

(٣) المفعول به هنا هو زهير بن القين لما خطب خطبته موجّهاً كلامهُ لأهل الكوفة، وليس الإمام الحسين عليه السلام ... راجع تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٣ - ٣٢٤... فشَمِرُ رمى زهير بن القين بسهم وقال له: اسكت، أسكت الله... إلخ.

(٤) القائل: كثير بن عبد الله الشعبي، تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٣ - ٣٢٤.

لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدّعاء لقد نصحْتَ لهؤلاء وأبلغْتَ لو نَفَع النُّصْحُ والإبلاغ))[1][2].

وتقدّم بُرير بن خُضير الهمداني، وكان شيخاً ناسكاً، قارئاً للقرآن، من شيوخ القُرّاء، وهو أقرأُ أهل زمانه، فوعظ القوم وقال: يا قَوم، اتّقوا الله؛ فإنّ ثِقْل محمّد قد أصبح بين أظهركم[3].

وتقدّم الحسين عليه السلام حتّى وقف بإزاء القوم، فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنّهم السّيل، فقال: ((الحمد لله الذي خلق الدّنيا فجعلها دار فَناء وزوال، مُتصرِّفَةً بأهلها حالاً بعد حال؛ فالمغرورُ مَنْ غرّتْهُ، والشَّقيُّ مَنْ فتنَتْهُ، فلا تَغُرّنكم هذه الدّنيا؛ فإنّها تَقْطعُ رجاء مَنْ ركن إليها، وتُخيّب طَمَع مَنْ طمع فيها.

وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسْخَطْتُمُ اللهَ فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نِقْمته، وجَنّبكم رحمته؛ فَنِعْمَ الرّبُ ربّنا، وبئسَ العَبيد أنتم! أقررتم بالطّاعة، وآمنتم بالرّسول محمّد صلى الله عليه وآله ، ثمّ إنّكم زحَفْتم إلى ذرّيّته وعترته تُريدون قَتْلهم! لقد اسْتحوذ عليكم الشّيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم ولما تُريدون! (إنّا لله وإنّا إليه راجعون) ، هؤلاء قومٌ كفروا بعد إيمانهم فبُعداً للقوم الظّالمين!))[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٤، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٣.

(٢)

يَـــومَ وافـــى الحســـينُ يرشـــد قومـــاً ... مِـــن بـــني حـــربٍ لـــيس فـــيهم رشـــيدُ

خـــاف أنْ ينقضـــوا بنـــاءَ رســـولِ الـــ ... ـــلهِ فـــي الـــدِّينِ وهـــو غَـــضٌّ جَديـــدُ

كيـــف يرضـــى بـــأن يـــرى العـــدل بـــادي الـــ ... ـــنقص والـــجائر المضـــلّ يزيـــدُ

فـــغدا الـــسبط يـــوقظ النـــاس للرشـــ ... ـــدِ وهـــم فـــي كـــرى الضـــلال رقـــودُ

ولقـــد كـــذّبته أبـــناءُ حـــربٍ ... مـــثل مـــا كـــذّب المســـيحَ اليهـــودُ

السيّد جعفر الحلّي - أدب الطفّ ٨ / ٩٩ - ١٠٠.

(٣) مقتل الحسين - للمقرّم / ٢٣٣.

(٤) مقتل الحسين - للخوارزمي ١ / ٢٥٢، المناقب - لابن شهر آشوب ٤ / ١٠٠، بحار الأنوار ٤٥ / ٥.

فقال عمر: ويلكم كلّموه؛ فإنّه ابن أبيه! لو وقف هكذا فيكم يوماً جَريداً[1] لما انقطعَ ولما حُصِر. ثمّ تقدّم ورمى نحو عسكر الحُسين عليه السلام بسهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير أنّي أوّل مَنْ رمى.

وأقبَلَتِ السّهام من القوم كأنّها المطر[2][3]، فقال الحسين عليه السلام لأصحابه: ((قوموا رحمكم الله إلى الموت الّذي لا بدّ منه؛ فإنّ هذه السّهام رُسُل القوم إليكم)).

فاقتتلوا ساعةً من النّهار حَمْلةً وحملةً حتّى قُتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعةٌ. قال: فعندها ضرب الحسين عليه السلام بيده إلى لحيته، وجعل يقول: ((اشتدّ غضبُ اللهِ تعالى على اليهود إذ جعلوا له وَلَداً، واشتدّ غضب اللهِ تعالى على النّصارى إذ جعلوه ثالثَ ثلاثة، واشتدَّ غضبه على المجوس إذ عبدوا الشّمس والقمر دونَه، واشتدّ غضبه على قوم اتّفقت كلِمَتهم على قَتْلِ ابنْ بنتِ نبيّهم؛ أما والله لا أُجيبُهم إلى شيء ممّا يُريدون حتّى ألقى الله وأنا مُخضَّبٌ بدمي))[4][5].

قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : ((لما اشتدّ الأمر بالحسين بن عليّ بن أبي طالب نظر إليه مَنْ كان معه، فإذا هو بخلافهم؛ لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرتْ ألوانهم، وارتعدتْ فرائصُهم، ووجِلَتْ

---

(١) أي: يوماً تاماً.

(٢) اللهوف / ٤٣، الإرشاد ٢ / ١٠٤، طبع إيران.

(٣) السيّد ميرزا الطالقاني - أدب الطفّ ٨ / ١٢٣.

(٤) اللهوف / ٤٤، بحار الأنوار ٤٥ / ١٢.

(٥)

فمـــا رأى السّـــبطُ للـــدينِ الحنيـــفِ شِـــفا ... إلاّ إذا دَمُـــهُ فـــي كـــربلا سُـــفِكا

ومـــا سَـــمِعْنا عَلـــيلاً لا عِـــلاجَ لـــه ... إلاّ بنـــفسِ مُـــداويه إذا هَـــلَكا

بـــقتلهِ فـــاحَ للإســـلام نَشْـــرُ هُـــدىً ... فـــكلّما ذُكِّـــرَتْهُ الـــمسلمونَ ذكـــا

السيّد جعفر الحلّي - رياض المدح والرثاء / ٢٣٠.

قلوبهم، وكان الحسين وبعض خواصّه تُشرِقُ ألوانهم، وتَهْدأ جوارحهم، وتَسكُن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يُبالي بالموت[1]! فقال لهم الحسين: صَبْراً يا بَني الكِرام؛ فما الموتُ إلاّ قنطرةٌ تَعْبُرُ بكم عن البُؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنّعيم الدّائم، فأيّكم يكرهُ أنْ ينتقل من سجن إلى قصْر؟! وما هُوَ لأعدائكم إلاّ كمَنْ ينتقلُ منْ قصر إلى سجن وعذاب. إنّ أبي حدّثني عن رسول اللهِ أنّ الدّنيا سجنُ المؤمنِ وجنّةُ الكافر))[2].

فلمّا رأى الحرّ بن يزيد أنّ القوم قد صمّموا على قتال الحسين عليه السلام، وسمع صيحة الحسين يقول: ((أما مِن مُغيث يُغيثنا لوجه اللهِ؟! أما مِن ذابٍّ يذبُّ عن حُرَم رسول الله[3]؟!))، قال لعمر بن سعد: أي عمر، أتقاتل أنت هذا الرجل؟!

قال: إي والله قِتالاً أيسره أن تَسْقُط الرؤوس وتطيح الأيدي.

قال: أفما لكم فيما عرضه عليكم رضاً؟

قال عمر: أمّا لو كان الأمر إليّ لفعلْتُ، ولكنْ أميرك قد أبى.

فأقبل الحرّ حتّى وقف من النّاس موقفاً، ومعه رجلٌ من قومه يُقال له: قُرّة بن قيس، فقال: يا قُرّة، هل سقيت فرسك اليوم؟

قال: لا.

قال: فما تُريد أن تسقيه؟

قال: فظننْتُ واللهِ أنّه يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتال، فكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلت له: لم أَسقه، وأنا مُنطلقٌ فأسقيه. فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أنّه أطْلَعَني على الذي يريد لخرجتُ معه إلى الحسين.

فأخذ يدنو من الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن أوْس: ما تُريد أن تصنع يابن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فلم يُجِبْهُ، وأخذه مثل الإفْكِل (وهي الرَّعْدةُ)، فقال له المهاجر: إنّ أمرك لمريب! والله، ما رأيت منك في موقف قطّ مثل هذا، ولو قيل لي: مَنْ

---

(١) السيّد محمّد علي الغريفي - أدب الطفّ ١٠ / ٢٤٢.

(٢) حياة الإمام الحسين - للقرشي ٣ / ٢٣٨، معاني الأخبار / ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٣) اللهوف / ٤٤.

أشجع أهل الكوفة ما عَدَوْتُكَ، فما هذا الذي أرى منك؟!

فقال الحرّ: إنّي والله أُخيِّر نفسي بين الجنّة والنّار، فوالله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قُطِّعْتُ وحُرِّقْتُ. ثمّ ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول: اللّهمّ إليك أنَبْتُ فتُبْ عَلَيّ؛ فقد أرْعَبْتُ قلوب أوليائك وأولاد بنتِ نبيّك.

جُعلتُ فداك يابن رسول الله! أنا صاحبك الذي حَبستك عن الرّجوع، وسايَرْتُك في الطّريق، وجَعْجَعْتُ بك في هذا المكان، وما ظننتُ أنّ القوم يردّون عليك ما عرضْتَه عليهم، ولا يبلغون منك هذه المنزلة. والله لو علِمْتُ أنّهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركِبْتُ منك الذي ركِبْتُ، وإنّي تائبٌ إلى الله ممّا صنعْتُ فترى لي ذلك توبةً[1]؟

فقال له الحسين عليه السلام: ((نعم، يتوب الله عليك فانزِلْ)). قال: فأنا لك فارساً خيرٌ من راجل، أُقاتلهم على فرسي ساعة. فقال له الحسين عليه السلام: ((فاصنع رحمك الله ما بدا لك)). فاسْتقدم أمام الحسين فقال: يا أهل الكوفة، لأُمّكم الهَبَلُ[2]! دعوْتم هذا العبد الصّالح حتّى إذا أتاكم أسلمتموه وحلأتموه ونساءه وصبْيَته وأهله عن ماء الفرات الجاري! بئسما خلفْتُم محمّداً وآله في ذريّته!

وجعل يُقاتل ويقول:

إنّـــي أنـــا الحُـــرُّ وَمـــأوى الضَـــيْفِ أضْـــرِبُ في أعراضِـــكُمْ بالسَّـــيْفِ[3]

فصاح عمرو بن الحجّاج بالنّاس: يا حُمَقاء! أتدرون مَنْ تُقاتلون؟! تُقاتلون فِرسان أهل المصر، وقوماً مُستميتين، لا يبْرُزُنَّ لهم منكم أحدٌ[4]، والله لو لم ترموهم إلاّ

---

(١)

يـــــحسين تـــــايب جيـــــت لـــــيكم وآنـــــه الـــــذي جعجعـــــت بـــــيكم

داخـــــل تـــــره اعلـــــه الله او علـــــيكم خـــــلّيني اجـــــاهد بـــــين ايـــــديكم

(٢) الهَبَل - بالتحريك -: الثكل.

(٣) الإرشاد ٢ / ١٠٢، الكامل ٢ / ٥٦٣، البداية والنهاية ٨ / ١٩٥، تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٤)

تَـــعُدّ الـــفَنا في العِـــزّ خَـــيراً مِـــن البقـــا وَمـــا ضَـــرّها في حَومَـــةِ الحَـــرْبِ يَنفـــعُ

سَـــطَتْ لا تَهـــابُ المـــوتَ دونَ عميـــدها ولا مِـــن قِـــراعٍ في الكريهـــة تَجْـــزَعُ

تَـــزيدُ ابتهاجـــاً كلّمـــا الحـــربُ قَطَّبـــتْ وذلـــك طَـــبْعٌ فـــيهم لا تـــطبُّعُ

الشيخ حسّون العبد الله - أدب الطفّ ٨ / ٤٨.

بالحجارة لقتلتموهم[١].

فدعا عمر بن سعد بالحُصين بن نَمير في خمسمئة من الرُّماة فاقتتلوا حتّى دنَوا من الحسين عليه السلام وأصحابه، فرشقوهم أصحابُ الحسين بالنَّبل فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وقاتلوهم حتّى انتصف النّهار واشتدّ القتال[٢].

قال الخوارزمي: ثمّ برز جابر بن عروة الغفاري[٣]، وكان شيخاً كبيراً، وقد شهِدَ مع رسول الله بدراً وحُنيناً، فجعل يشدُّ وسطه بعِمامة، ثمّ شدّ حاجبيه بعصابة حتّى رفعهما عن عينيه، والحسين ينظر إليه ويقول: ((شَكَرَ اللهُ سعيك يا شيخ)). فحمل ولم يزلْ يُقاتل حتّى قتل ستّين رجُلاً[٤] [ثمّ قُتل] (رضوان الله عليه).

ثمّ تَقَدَّم أنسُ بن الحرْث الأسدي[٥]، وكان صحابياً كبيراً ممّن رأى النبي صلى الله عليه وآله وسمع حديثه، وكان فيما سَمِعَ منه وحدّث به ما رواه جمٌ غفيرٌ من العامّة والخاصّة عنه أنّه قال: سمعت رسول الله يقول - والحسين بن عليّ في حجره -: ((إنّ ابني هذا يُقْتَل بأرض من العراق، ألا فمَنْ شهده فلينصره)).

فاستاذن الحسينَ في البِراز فأذن له، وبرز فقاتل حتّى قُتِلَ[٦].

---

(١) الإرشاد ٢ / ١٠٧، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٥، بحار الأنوار ٤٥ / ١٩، تاريخ الطبري ٤ / ٣٣١.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣٢ - ٣٣٣، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٦.

(٣) في ينابيع المودّة / ٤١٢:... ثمّ برز عروة الغفاري، أدب الحسين / ٢١٤.

(٤) في ينابيع المودّة / ٤١٣:... حتّى قتل منهم خمسةً وعشرين فارساً....

(٥) أُسد الغابة ١ / ١٤٦، الإصابة ١ / ٦٨، ذخائر العقبى - للمحبّ الطبري / ١٤٦، طبعة ١٤٠١.

(٦) ابن نصار - النصاريات الكبرى / ١٤.

قال الراوي[1]: وحملت ميمنة ابن سعد على ميسرة الحسين عليه السلام، وكانت حملتهم من نحو الفرات، وكان مسلم بن عوسجة في ميسرة الحسين. قال ابن حجر[2]: وكان مسلم بن عوسجة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فجعل مسلم يرتجز ويقول:

إنْ تَسْأَلُوا عَنّي فإنّي ذُو لَبَدْ وإنَّ بَيتي في ذُرى بَني أسَدْ[3]

فقاتل قتالاً شديداً، ثمّ تعطّف عليه القوم فقتلوه، وارتفعت لشدّة الجِلاد غبرةٌ شديدةٌ، فلمّا انجَلَت الغبرة وإذا بمُسلم بن عوسجةَ صريعاً؛ فتباشر أصحاب ابن سعد، فمشى إليه الحسين ومعه حبيب، فقال الحسين عليه السلام: ((رَحِمك الله يا مسلم، (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبديلاً)[4])).

ودنا منه حبيب فقال: يا أخي، أبشِر بالجنّة. فأجابه بصوت ضعيف: بشّرك اللهُ بخير. ثمّ قال: لو لم أعلمْ أنّي بالأثر لأحببتُ أن تُوصي إليّ بجميع ما أهمّك. قال: يا أخي، أُوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين - فقاتِلْ دونه حتّى تموت. فقال له حبيبٌ: لأنعمنّك عَيناً. ثمّ مات (رضوان الله عليه)[5][6].

---

(١) مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ١٥.

(٢) الإصابة ١ / ٦٨.

(٣) ثمرات الأعواد ١ / ١٩٤.

(٤) سورة الأحزاب / ٢٣.

(٥) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣١، الإرشاد ٢ / ١٠٧، طبع إيران، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٥، بحار الأنوار ٤٥ / ٢٠، البداية والنهاية ٨ / ١٩٧.

(٦)

گربت يبن ظاهر منيتي ما وصّيك بعيالي او بيتي

وانچان نيتك مثل نيتي بالحسين واعيالـه وصيتي

وتقدّم يزيد بن زياد، وهو أبو الشَّعْثاء الكِندي[1] من بني بَهْدَلَة، فجثا على رُكبتيه بين يدي الحسين عليه السلام، فرمى بمئة سهم ما سقط منها إلاّ خمسة أسهم، وكان رامياً، فكان كلّما رمى قال: أنا ابنُ بَهْدَلة.

ويقول الحسين عليه السلام: ((اللّهمّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ، واجعل ثوابه الجنّة)).

فلمّا رمى بها قام فقال: ما سقط منها إلاّ خمسة أسهم. وكان رِجْزُهُ يومئذ:

أنـــــا يَـــــزيدٌ وأبي مُهاصِـــــرْ أشْـــجعُ مِـــنْ لَيْـــثٍ بِغَيْـــل خـــادِرْ

يـــــا ربِّ إنّي للحُسَـــــين ناصِـــرْ ولابـــن سَـــعْد تـــارِكٌ وهـــاجِرْ

وكان يزيد بن زياد المهاصر ممّن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام، فلمّا ردّوا الشُّروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتّى قُتِل[2].

هُـــمْ خَيْـــرُ أنْصـــار بَـــراهُمْ رَبُّهُـــمْ لِلـــدّينِ أوَّلَ عَـــالَمِ التَّكـــوينِ[3]

وقد شهد لهم عدوّهم كعب بن جابر[4]؛ فإنّه لما قتل بُرير بن خُضير عابتْ عليه زوجته، فقالتْ: أعَنْتَ على ابن فاطمة وقتلْتَ سيّد القُرّاء! لقد أتيت عظيماً من الأمر! والله لا أُكلّمك مِن رأسي كلمةً واحدةً.

فقال يُخاطبها من أبيات:

وَلَـــمْ تَـــرَ عَـــيْني فـــي زَمَـــانِهِمُ وَلا قَـــبْلَهُمْ فـــي النّـــاسِ إذْ أنـــا يـــافِعُ

أَشَـــدَّ قِراعـــاً بالسُـــيوفِ لـــدى الـــوغى ألا كُـــلُّ مَـــنْ يَحمـــي الـــذِّمارَ مُقـــارِعُ

وقَـــد صَـــبروا للضـــرب والطعـــن حُسَّـــراً وقـــد نـــازلوا لـــو أنَّ ذلـــك نـــافِعُ

وجاء إلى الحسين عليه السلام أبو ثُمامة الصّائدي رحمه الله فقال: يا أبا عبد الله، هؤلاء القومُ قد اقتربوا منك، ولا والله لا تُقتلُ حتّى أُقتل دونَك، وأُحبُّ أن ألقى الله وقد صلّيت هذه الصّلاة.

فرفع عليه السلام رأسه إلى السماء وقال: ((ذَكَرْتَ الصّلاة! جعلك اللهُ من المصلّين، نعم هذا أوّلُ وقتها.

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣٩ - ٣٤٠، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٩، قال: وكان أوّل مَنْ قُتل، مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٢٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٠.

(٣) من شعر الكوّاز، أدب الطفّ ١٠ / ٢٣٨.

(٤) تاريخ الطبري ٤ / ٣٢٩.

سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نُصلّي لربّنا)).

وتقدّم ببقيّة أصحابه، وكانوا عشرين رجلاً، فلمّا اصطفّ أصحابهُ خَلفه دنا (الحُصين بن نَمير) فقال: صلّي يا حسين، فإنّها لا تُقبَلُ منك. فقال له حبيب بن مُظاهر: زعمتَ أنّها لا تُقبَلُ من ابن بنت رسول الله وتُقْبَلُ منكَ يا فاسق؟![1].

وكان عُمرُ حبيب يوم كربلاء خمساً وسبعين سنةً، وكان يحفظ القرآن كُلَّه، وكان يختمه في كلِّ ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر[2][3].

جاء يوم عاشوراء إلى الحسين عليه السلام فسلّمَ عليه وودّعه، وقال: واللهِ يا مولاي، إنّي لأرجو أن أُتمّم صَلاتي في الجنّة، وأُقرأُ أباكَ وَجدّكَ وأخاك عنك السّلام. ثمّ برز وهو يقول:

أنَـــا حَبِيـــبٌ وأبي مُظـــاهِرُ[4] فـــارِسُ هيجـــاء وحَـــرب تُسْـــعَرُ

أنـــتم أَعَـــدُّ عُـــدَّةً وأَكـــثرُ ونـــحنُ أوفى مـــنكُم وأَصْـــبَرُ

ولم يزلْ يُقاتل حتّى قَتَل اثنين وستّين فارساً، فحمَلَ عليه رجلٌ من بني تميم[5]

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣٤، وفيها: وتُقبل منك يا حمار... وأنّه الحصين بن تميم، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٧، بحار الأنوار ٤٥ / ٢١، أعيان الشيعة ١ / ٦٠٦.

(٢) وهذه شهادة من الإمام الحسين عليه السلام في حقّه: ((لله دَرُّكَ يا حبيب! لقد كنتَ فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة)). ينابيع المودّة / ٤١١، وفي تاريخ الطبري ٤ / ٣٣٦، والكامل ٢ / ٥٦٧، قال عليه السلام عند استشهاد حبيب: ((عند الله أحتسب نفسي وحُماة أصحابي)).

(٣)

أَحبيـــبُ أنـــتَ إلى الحســـينِ حَبيـــبُ إنْ لـــم يُـــنِطْ نَسَـــبٌ فأنـــتَ نَسـيبُ

يـــا مرحبـــاً بـــابنِ المظـــاهِرِ بـــالولا لـــو كـــانَ يـــنهضُ بـــالولا التَرحيـــبُ

بـــأبي المفـــدّي نفســـه عـــن رغبـــة .....

السيّد إبراهيم الطباطبائي - رياض المدح والرثاء / ٥٣٧.

(٤) في إبصار العين / ٥٩:... أنا حبيبُ وأبي مُظهر.

(٥) مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ١٩، بحار الأنوار ٤٥ / ٢٧، أعيان الشيعة ١ / ٦٠٦، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٧.

يُقال له: بُديل بن صُرَيم[١]، فضربه بالسّيف على رأسه فوقع، وذهب ليقوم فضربه الحُصينُ بن نَمير[٢] على رأسه بالسّيف فسقط، فنزل إليه التميميّ فاحتزّ رأسه.

فقال له الحُصين: أنا شريكُك في قتله. فقال التميميّ: واللهِ ما قتله غيري. فقال الحُصَين: أعْطنيه أُعلّقه في عُنُق فرسي كيما يرى النّاس ويَعلموا أنّي شريكُكَ في قتله، ثمّ خُذْهُ أنت فامضي به إلى عبيد الله بن زياد فلا حاجةَ لي فيما تُعطاه.

فأبى عليه، فأصْلح قومهما بينهما على ذلك، فدفع إليه رأس حبيب فعلّقه بعُنُق فرسه، فجال به في العسكر، ثمّ دفعه بعد ذلك إلى التميمي فعلّقه في لِبان فرسِهِ، ثمّ أقبل إلى ابن زياد وجالَ به في الكوفة[٣].

ولما قُتِل حبيبُ بان الانكسار في وجهِ الحسين عليه السلام، وقال: ((عند اللهِ أحتسبُ نفسي وحُماةَ أصحابي))[٤][٥].

ولما قُتِل أصحاب الحسين عليه السلام، ولم يَبْقَ معه إلاّ أهْلُ بيته وخاصّته، وهم وُلْدُ عليٍّ، ووُلْدُ جعفر، ووُلْدُ عقيل، ووُلْدُ الحسن عليه السلام، ووُلْدُهُ عليه السلام، اجتمعوا يودّع بعضهم بعضاً لما عزموا على الحرب،

---

(١) في نسخة الطبري «بَديل بن صُرَيم»، وفي الكامل «بُديل بن صُريم».

(٢) في نسخة الطبري «الحصين بن تميم».

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٢٣٥، الكامل ٢ / ٥٦٧، مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ١٩.

(٤) المصادر نفسها.

(٥)

إن يهـــــدّ الحُســـــينَ قَتْـــــلُ حَبيـــــبٍ فـــــلقد هَـــــدّ قَتْلُـــــهُ كُـــــلَّ رُكْـــــنِ

* * *

إجـــاه احســـين شـــافه او دمّـــه مســـفوح وعـــاين بيرغـــه اعلـــى الگـــاع مطـــروح

ســـدر عـــنّه او دمـــع العـــين منثـــور جـــذب ونّـــه ومنّـــه ماعـــت الـــرّوح[*]

(*) هكذا وردت الأشطر، وربما كان هناك تقديم وتأخير في الشطرين الأخيرين. **(موقع معهد الإمامين الحسنين)**.

فهُمْ كما قال القائلُ:

لَــوْ كُنْــتَ ســاعة بَيننــا مــا بَيَنَنــا وَشَــهِدْتَ كَيْــفُ تَكَــرَّر التّوديعــا

أيْــقَنْتَ أنّ مــن الــدّموع تحــدّثاً وعَلِمْــتَ أنّ مــن الحــديثِ دموعــا

تقدّم عليُّ بن الحسين الأكبر عليه السلام، وأُمّه ليلى بنتُ عُروةِ بن مسعودِ الثّقفي عَظيم القَريتَين، الذي قالتْ قُريشٌ فيه: (لَولا نُزِّلَ هذا القُرآنُ عَلى رَجُل مِنَ القَـرْيَتَيْنِ عَظـيمٌ)[1]، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام من أصبحِ النّاس وَجْهاً، وأحسنهم خُلُقاً، فاستاذنَ أباهُ في القتال فأذِنَ له، ثمّ نظر إليه نَظَرَ آيس منه، وأرخى عليه السلام عَيْنَهُ وبكى[2].

وروي أنّه عليه السلام رفع شيْبَتَهُ نحْوَ السّماء وقال: ((اللّهـمّ اشْهَدْ على هؤلاء القومِ فقد بَرَزَ إليهم غُلامٌ أشبهُ النّاسِ خَلْقَاً وخُلُقاً ومَنْطِقاً برسولك، وكُنّا إذا اشْتَقْنا إلى نبيّك نَظَرْنَا إلى وَجْهِهِ. اللّهـمّ امْنَعْهُمْ بركـاتِ الأرضِ، وفَـرِّقْهُمْ تفريقـاً، ومزّقْهُم تَمزيقـاً، واجْعَلْهُـمْ طرائـقَ قِـدَداً، ولا تُـرْضِ الـوُلاةَ عنهم أبداً؛ فإنّهم دَعَونا لِيَنصُرونا ثمّ عَدَوا علينا يُقاتلونا)).

ثمّ صاح بعمر بن سعد: ((ما لـك؟! قطع اللهُ رَحِمَك، ولا بـارك الله لـك في أمـرك، وسلّطَ عليك مَنْ يَذبحُك بعدي على فراشك كما قَطَعْتَ رَحِمي، ولم تَحفظْ قرابتي من رسول الله)).

ثمّ رفع صوته وتلا: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحـاً وَآلَ إِبْـرَاهِيمَ وَآلَ عِمْـرَانَ عَلَى الْعَـالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[3]) .

ثمّ حمل عليُّ بن الحسين عليه السلام على القوم وهو يقول:

أنَــا علــيُّ بــنُ الحُسَــين بــنُ علــي نَحْــنُ وبَيــتِ اللهِ أوْلى بــالنَّبي

تــاللهِ لا يَحْكُــمُ فينــا ابــنُ الــدّعي أضْــرِبُكُمْ بالسّــيف حــتّى يَنْثَنــي

ضَرْبَ غُلامٍ هاشميٍّ علوي

وشدّ على النّاس مِراراً، وقتل منهم جمعاً كثيراً حتّى ضجّ النّاس من كَثْرة مَنْ قُتِل

---

(١) سورة الزخرف / ٣١.

(٢) أعيان الشيعة ١ / ٦٠٧.

(٣) سورة آل عمران / ٣٣ - ٣٤.

منهم[١].

ورُوي أنّه قتل على عطشه مئة وعشرينَ رجُلاً[٢]، ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابَتْهُ جُراحاتٌ كثيرةٌ، فقال: يا أبةِ، العطش قدْ قَتلني، وثِقْلُ الحديد أجْهَدني، فهل إلى شِرْبةِ ماء مِن سبيل حتّى أتقوّى بها على الأعداء؟

فبكى الحسين عليه السلام وقال: ((يا بُنيّ، قاتِلْ قَليلاً؛ فما أسرعَ ما تَلْقى جدّك محمّداً فيسقيكَ بكأسِهِ الأوفى شِرْبةً لا تَظمأ بعدها أبداً))[٣][٤].

فَرَجع إلى القتال، ولم يزلْ يُقاتل حتّى قتل تمام المئتين[٥].

وكان أهل الكوفة يتّقون قَتْله، فبصر به مُرّةُ بنُ مُنقِذ بن النُّعمان العَبدي[٦]، فشدّ

---

(١)

بَـــــطَلٌ لـــــهيبته الأُســـــودُ ذواهِـــــلٌ ... والأرضُ ترجـــــفُ إذْ يطاهـــــا مُـــــدْرعا

واســـــى أبـــــاه بكـــــربلا حـــــين العِـــــدى ... حـــــاطتْ بـــــه فَسَـــــطا بهـــــا وتطلّعـــــا

وبـــــدى يجـــــولُ بطَرْفِـــــهِ حـــــتّى كســـــا ... .

الشيخ سلمان البحراني - رياض المدح والرثاء / ٤٣٤.

(٢) مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٣٠، بحار الأنوار ٤٥ / ٤٢.

(٣) اللهوف / ٤٩، مثير الأحزان / ٦٩، الفتوح ٥ / ١٣١، مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٣١.

(٤)

ســـــهله يـــــبويه طلبتـــــكَ هـــــاي ... لاچـــــن يعگلـــــي او مـــــاي عينـــــاي

....

* * *

يَشـــكو لخـــير أبٍ ظمـــاه ومـــا اشـــتكى ... ظمـــأَ الحشـــى إلاّ إلى الظـــامي الصـــدِ

فـــــانصاع يـــــؤثره عـــــليه بريقِـــــهِ ... لـــــو كـــــان ثـــــمّة ريـــــقُه لم يجمـــــدِ

كـــــلٌّ حـــــشاشتُهُ كـــــصاليةِ الغضـــــا ... .

الشيخ عبد الحسين صادق - أدب الطفّ ٩ / ٢٢٨.

(٥) مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٣١.

(٦) تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٠، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٩.

عليه فَضَرَبهُ على مَفْرَقِ رأسه ضَرْبَةً صرعَتْهُ، وضربه النّاس بأسيافهم؛ فاعتنق فرسه فاحتمله الفَرسُ إلى مُعسكرِ الأعداء فقطّعوهُ بسُيوفهم إرْباً إرْباً[1]، فلمّا بلغَت روحه التّراقي قال رافعاً صوتَهُ: يا أبتاهُ! هذا جَدّي رسول الله قد سَقاني بكأسه الأوفى شِرْبةً لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقولُ: ((العَجَل العَجَل؛ فإنّ لك كأساً مذخورةً حتّى تَشْرَبها السّاعة)).

فجاء الحسين عليه السلام حتّى وقف عليه، ووضع خدّه على خدّه وهو يقول: ((قَتَل اللهُ قَوْماً قتلوك، ما أجْرأهُم على الرّحمن، وعلى انتهاك حُرْمَةِ الرّسول!)). وانهَمَلَتْ عيناهُ بالدّموع، ثمّ قال: ((على الدّنيا بَعْدَك العَفَا))[2][3].

---

(١)

نـــده يـــحسين هـــذا الســـاع جـــدّي　　ســـگاني المـــاي واروه عطـــش چبـــدي

يگول اسرع تراك اليوم عندي

ابن نصار - النصاريات الكبرى / ٢٦.

(٢) ينابيع المودّة / ٤١٥، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٦٩، تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٠.

(٣)

نـــاده الحســـين او دمعتـــه عالخـــد جريّـــه　　يـــبني يـــالأكبر فرگتـــك صـــعبه عليّـــه

السيّد حسين الحلو - أدب المنبر الحسيني / ١٢٦.

كـــل جســـمك جـــروح وغـــدت دم تســـيل　　ومـــا ظـــل يبـــني موضـــع بيـــه للتقبيـــل

اويـــلي عليـــك يبـــني وشـــيفيد الويـــل　　الـــبچه والنـــوح والـــون مـــا يشـــافيني

عبد الحسين أبو شبع - أدب المنبر الحسيني / ١٨٢.

حـــزني شـــابه أم عشـــره ويرهـــا　　عَلَـــه اللّـــي بالگلـــب نـــاره ويرهـــا

أدب المنبر / ٣٩١.

وخرج القاسم بنُ الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فلمّا نظر إليه الحُسين عليه السلام اعْتنقهُ، وجعلا يبكيان حتّى غُشِيَ عليهما، ثمّ أُستاذنَ الحُسَين في المبارزة فأبى أنْ يأذنَ له، فلَمْ يزلْ الغلامُ يُقبّلُ يَدَيْهِ ورِجْلَيهِ حتّى أذِنَ له[1]، فخرج ودموعه تَسيلُ على خدّه وهو يقول:

إنْ تُـــنْكِرُوني فَـــأَنَا اِبْـــنُ الحَسَـــنْ سِـــبْطُ النَـــبِيِّ المصْـــطَفى والمـــؤتَمَنْ
هـــذا حُـــسَيْنٌ كـــالأسيرِ المـــرْتَهَنْ بَـــيْنَ أُنـــاس لا سُـــقُوا صَـــوْبَ المـــزُنْ[2]

فقاتل قِتالاً شديداً حتّى قتل على صِغَره خمسةً وثلاثينَ رجُلاً[3].

وفي أمالي الصّدوق[4]: وبرز من بعده - أي بعد علي بن الحسين - القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وعن حَميد بن مُسلم قال[5]: خرج إلينا غلامٌ كأنَّ وجهه شُقّةُ قمر، وفي يده السّيفُ[6]، وعليه قميصٌ وإزارٌ، وفي رجْلَيه نَعلانِ، وقد انقطع شِسْعُ أحدهما، ما

---

(١) مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٢٧، بحار الأنوار ٤٥ / ٣٥، مُثير الأحزان / ٨١.
(٢) المجالس السنيّة ١ / ١٠٩، مُثير الأحزان - للجواهري / ٨١.
(٣) مثير الأحزان / ٨١، موسوعة كلمات الإمام الحسين / ٤٦٤.
(٤) أمالي الصدوق / ١٣٨.
(٥) تاريخ الطبري ٤ / ٣٤١، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٢، مقاتل الطالبيين / ٥٨.
(٦)

جَـــــرّ الـــــسيف والـــــزانه نكثهـــــا او طفّـــــخ علـــــى الملزومـــــه او فرشـــــها
جثـــــث بـــــالروس والـــــروس ابجثثهـــــا اســـــم الله عـــــليه خـــــلاّها اتّعَثـــــرْ

* * *

تـــــبردگ فـــــوگ مهـــــره وگـــــال يـــــومي او گـــــال الزانتـــــه اعلـــــى الخيـــــل حـــــومي
رَفْهَا او گال للرايات گومي

ابن نصار - النصاريات الكبرى / ٣٠.

أنسى أنّها اليُسرى[1]، فقال عمرو بن سعد بن نَفيل الأزْدي: والله لأشُدّنّ عليه. فقلت له: سُبحان اللهِ! يكفيك هؤلاء الّذين احتَوَشُوه مِن كُلّ جانب. قال: واللهِ لأشدّنّ عليه.

فشدَّ عليه، فما ولّى حتّى ضربَ رأس الغلامِ بالسّيفِ، فوقعَ الغُلامُ لوَجهِهِ، فقال: يا عَمّاه! فجلى الحُسين كما يَجلي الصَّقْرُ، ثمّ شدّ شِدَّة لَيْث أُغْضِبَ وضرب عَمْراً بالسّيفِ، فاتّقاه بالسّاعد فأطنّها مِن لَدُن المِرْفَقِ، فصاح[2] صَيحةً سمعها أهلُ العسكرِ، ثمّ تنحّى عنه الحسين عليه السلام، وحملَتْ خَيلُ أهلُ الكوفة ليَستنقذوا عَمْراً من الحسين فوطأتْهُ حتّى مات.

وانجَلَتْ الغُبْرَة فإذا بالحسين عليه السلام قائمٌ على رأس الغُلام، والغُلامُ يَفْحَصُ برجْليه، والحسين يقول: ((بُعْداً لقوم قتلوك! ومَنْ خصْمُهم يوم القيامة فيك جدُّكَ)). ثمّ قال: ((عَزَّ واللهِ على عَمّكَ أنْ تدعوهُ فلا يُجيبكَ، أو يُجيبكَ فلا يَنفعك صوتُهُ! هذا يومٌ واللهِ كَثُرَ واتِرُهُ، وقَلّ ناصِرهُ)).

ثمّ احتملهُ على صدرهِ، فكأنّي أنظرُ إلى رِجْلي الغُلام تَخُطّان الأرض وقد وضع صدرَهُ على صدرِهِ[3]، فجاء به حتّى ألقاهُ مع ابنهِ عليّ بن الحسين وقَتلى قدْ قُتِلَتْ حوله من أهلِ بيته[4].

---

(١) من أروع بطولات القاسم عليه السلام عدم مبالاته بكثرة الأعداء، بحيث انقطع شسع نعله، فوقف بين تلك الجموع يشدّه، وهذا ممّا يغيضُ العدوّ... (المحقّق).

لـــو كـــان يحـــذر بأســـاً أو يخـــافُ وغـــىً ... مـــا انصـــاع يُصـــلح نعـــلاً وهـــو صـــاليها

أمـــامَه مِـــن أعـــاديه رمـــالُ ثـــرى ..... للشيخ عبد الحسين صادق - شعراء الحسين / ٥٣.

(٢) مثير الأحزان / ٨٢، مقتل الحسين - للمقرّم / ٢٦٥.

(٣)

حـــطّ احســـين صـــدره ابصـــدر جسّـــام ... شـــبگ فوگـــه او شـــاله الـــيمّ الخيـــام

صـــدره ابصـــدر عمّـــه او خـــط بالجـــدام ... عـــله الـــتربان واحـــسين ايتعثّـــر

* * *

يعمّـــي اشـــگالت مـــن الطـــبر روحـــك ... يـــجاسم مـــا تـــراويني اجروحـــك

ابن نصار - النصاريات الكبرى / ٣١.

رمـــله تـــنادي ســـاعدوني عالرزيّـــه ... جـــاسم وگـــع مـــن المهـــر فـــوگ الوطيّـــه

اگعـــد يمـــن ردتـــك ذخـــيره الجـــور الأيّـــام ... لـــيش اگطعـــت بيّـــه ونســـيت أُمّـــك يجسّـــام

هيهـــات مـــن غمّضـــت عينـــك عيـــني تنـــام ... والله لـــعوّدها الـــسهر غصـــباً عليّـــه

السيّد حسين الحلو - أدب المنبر الحسيني / ١٢٤.

رياض المدح والرثاء / ١٩٢ - ١٩٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤ / ٣٤١ - ٣٤٢، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٢، مقاتل الطالبيين / ٥٨.

مصرعُ العبّاس بن عليّ عليهما السلام حامل راية الحسين عليه السلام

قال أهل السِّيَر: كان العبّاس بن عليّ رجُلاً وسيماً جميلاً، بينَ عينيهِ أثرُ السّجود، يركَبُ الفرس المطهّم ورجلاهُ تخُطّان الأرض خَطّاً، وكان يُقال له: قمَرُ بني هاشم؛ لجماله ووسامته، وكان لِواء الحسين عليه السلام بيده[1].

---

(١) مقاتل الطالبيين / ٥٦، مثير الأحزان / ٨٣.

قال الإمام الصادق عليه السلام : ((كان عمّنا العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان، له منزلة عند الله يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة))[١].

وكانت ولادة العباس سنة ست وعشرين من الهجرة[٢]، وقُتل أبوه أمير المؤمنين عليه السلام وله من العمر نحو أربع عشرة سنة، وقُتل هو بالطفّ وقد بلغ أربعاً وثلاثين سنة، وهو آخر مَنْ قُتل من المحاربين مع الحسين عليه السلام ، ولم يُقتل بعده إلاّ الأطفال[٣].

ولما رأى العبّاس بن علي عليه السلام وحدة أخيه الحسين عليه السلام أقبل يستأذنه في القتال ويقول: يا أخي، هل من رخصة؟ فبكى الحسين عليه السلام ثمّ قال: ((يا أخي، أنت حامل لوائي، ومجتمع عسكري، وإذا مضيت تفرّق عسكري)).

فقال العبّاس عليه السلام : قد ضاق صدري، وسئمت من الحياة، وأُريد أن أطلب ثاري من هؤلاء المنافقين.

فقال له الحسين عليه السلام : ((فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء))[٤].

فذهب العبّاس عليه السلام ، ووعظهم وحذّرهم فلم ينفع الوعظ والتحذير، فرجع إلى أخيه فأخبره، فسمع الأطفال ينادون العطش العطش، فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة وقصد نحو الفرات، فأحاط به أربعة آلاف ممّن كانوا موكّلين بالفرات، ورموه بالنّبل، فكشفهم وقتل منهم ثمانين رجلاً[٥]، وهو

---

(١) الخصال ١ / ٦٨، إبصار العين / ٢٦.

(٢) العبّاس - للمقرّم / ٧٤.

(٣) إبصار العين / ٣٠، المنتخب - للطريحي / ٣١٢.

(٤) المصدران نفساهما، تظلّم الزهراء / ١١٩.

(٥)

وتعبسُ مِن خوفٍ وُجوهُ أُميّةٍ ... إذا كرّ عبّاسُ الوغى يتبسّمُ

أبو الفضل تأبى غيره الفضل والإبا ... أباً فهو إمّا عنه أو فيه يرسمُ

عليمٌ بتأويلِ المنيّة سيفُهُ ... نَزولٌ على مَنْ بالكريهةِ مَعْلَمُ

ويمضي إلى الهيجاءَ مستقبل العدى ... بماضي به أمرُ المنيّةِ مُبْرَمُ

وصال عليهم صولةَ الليث مغضباً ... يُحمحم من طول الطوى ويدمدمُ

للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء - عن كتاب سوانح الأفكار - للسيّد جواد شبّر - مخطوط

يرتجز ويقول:

لا أرهـــبُ المـــوتَ إذا المـــوت زقـــا[1] ولا أخـــافُ الـــشَرَّ يـــوم الـــمُلْتَقى

إنّـــي أَنَـــا الـــعَبّاسُ أغـــدو بـــالسِّقا نَفسـي لسـبْطِ المصـطفى الطّهـر وِقـا[2]

حتّى دخل الماء، فلمّا أراد أن يشرب غرفة من الماء ذكر عطش الحسين وأهل بيته عليهم السلام، فرمى الماء[3] وملأ القربة، وحملها على كتفه الأيمن وتوجّه نحو الخيمة، فقطعوا عليه الطريق، وأحاطوا به من كلّ جانب، فحاربهم، فكمن له زيد بن ورقاء من وراء نخلة، وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي فضربه على يمينه فقطعها، فحمل القربة على كتفه الأيسر وهو يقول:

واللهِ إنْ قَـــــــطعْتُمُ يميـــــــني إنّي أُحـــامي أبـــداً عَـــن ديـــني

---

(١) زقا: بمعنى صاح، وكانت العرب تزعم أنّ للموت طائراً يصيح.

(٢) مقتل الحسين - للمقرّم / ٢٦٨ - ٢٦٩، إبصار العين / ٣٠.

(٣)

ومُـــذ خَـــاضَ نـــهرَ الـــعلقمي تَـــذكّر الـــ ـــــحسينَ فـــولّى عـــنه والـــريقُ عَـــلْقَمُ

وأضـحى ابـنُ سـاقي الحـوض سـقّا ابـن أحمـدٍ يـروّي عطاشـى المصـطفى الطُّهْـرِ إن ظمـوا

أبـــا الـــفضلِ تُـــهنيك الـــوراثةُ مِـــن أب .....

للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء - سوانح الأفكار - للسيّد جواد شبّر – مخطوط

وصـــل للمـــاي لاچـــن مـــا شـــرب مـــاي گـــال شـــلون ابـــرّد چبـــدة احشـــاي

عگـــب حســـين واطفالـــه البرجـــواي عَلَـــيْ مـــاي العـــذب هـــاليوم يحـــرم

وعـــــن إمـــــامٍ صـــــادق اليَقـــــينِ نَجْـــلِ النـــبيِّ الطـــاهرِ الأمـــينِ[١]

فكمن له حكيم بن الطفيل فضربه على شماله فقطعها من الزند، فحمل القربة بأسنانه، وجاءه سَهمٌ فأصابَ القرْبة وأُريق ماؤها[٢]، ثمّ جاءه سهمٌ آخرُ فأصابَ صدره، وضربه آخَرُ بعمود من حديد على أُمّ رأسه، فانقلب عن فرسه وصاح: يا أبا عبد الله، عليكَ منّي السّلام[٣].

فلمّا أتاه ورآه صريعاً بكى ونادى: ((الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي، وشمت بي عدوّي))[٤].

الـــيَوْمَ نـــامَتْ أعـــينٌ بِـــكَ لَمْ تَـــنَمْ وَتَســـهَّدتْ أُخـــرى فَعـــزَّ مَنامُهـــا[٥][٦]

---

(١) المنتخب - للطريحي / ٣١٢، إبصار العين / ٣٠.

(٢)

لاچـــن إجـــاها الـــسّهم للجربـــة وفراهـــا حـــنّ او وگـــف يبچـــي او ســـكنه مـــا نســـاها

عمها امواعدها على أُمّيّة الحشاها

للشيخ الصيمري - أدب المنبر الحسيني / ٢١١.

(٣) إبصار العين / ٣٠.

(٤) بحار الأنوار ٤٥ / ٤١، تظلّم الزهراء / ١٢٠، الدمعة الساكبة ٤ / ٣٢٤.

(٥) من قصيدة للشيخ محمّد رضا الأُزري المتوفّى سنة ١٢٤٠، أدب الطفّ ٦ / ٢٦٣.

(٦)

وحـــين هـــوى أهـــوى إليـــه شـــقيقهُ يـــشقّ صـــفوف المخلـــديّ ويحطـــمُ

فـــالفاهُ مـــقطوعَ الـــيدين مـــعفّراً يـــفوّر مـــن مـــخسوف هامتـــه الـــدمُ

فقـــال أخـــي قـــد كُنـــتَ كـــبش كتيبـــتي وجـــنة بـــأسٍ حـــين أدهـــى وأدهـــمُ

فَـــمَنْ نـــاقعٌ حـــرّ القلـــوب مـــن الظمـــا ومَـــن دافـــعٌ شـــرّ العـــدى يـــوم تهجـــمُ

ومَـــن يكشـــفُ البلـــوى ومَـــن يحمـــل اللـــوا ومَـــن يـــدفع الـــلأوي ومَـــن يـــتقحّمُ

رحـــلتَ وقـــد خلّفتـــني يـــابن والـــدي أُغـــاض بـــأيدي الظـــالمين وأُهضَـــمُ

للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء - سوانح الأفكار - للسيّد جواد شبّر - مخطوط

ووقف الحسين عليه السلام بجنب الخيمة ونادى: ((يا سكينة، يا فاطمة، يا زينب، ويا أُم كلثوم، عليكنّ منّي السّلام)). فنادته سكينة: يا أبَة، استسلمتَ للموت؟! فقال: ((كيف لا يستسلم للموت مَنْ لا ناصر له ولا معين؟!)). فقالت: يا أبة، رُدّنا إلى حرم جدّنا. فقال: ((هيهات! لو تُرِكَ القطا لنام)). فتصارخن النساء فسكّتهنّ الحسين عليه السلام[1].

يقول زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام : ((ضمّني والدي إلى صدره يوم قُتل والدماء تغلي، وهو يقول: يا بُنيّ، احفظ عنّي دُعاءً علّمتنيهِ فاطمةُ (صلوات اللهِ عليها)، وعلّمها رسول الله إيّاه، وعلّمه جبرئيلُ في الحاجةِ والمهمّ والغَمّ، والنّازِلة إذا نزلتْ، والأمرِ العظيم الفادح. قال: ادعُ بحقّ يس والقُرآن الحكيم، وبحقّ طه والقُرآنِ العظيم، يا مَنْ يَقْدِرُ على حوائج السّائلين، يا مَنْ يعلمُ ما في الضَّميرِ، يا مُنفِّسَ عن المكروبين، يا مُفرِّجَ عن المغمومين، يا راحِمَ الشَّيْخ الكبير، يا رازقَ الطِّفْلِ الصّغير، يا مَنْ لا يحتاجُ إلى التّفسير، صَلِّ على محمّد وآل محمّد وافْعَلْ بي كذا وكذا))[2].

وفي رواية: وتقدّم نحو باب الخيمة وقال لزينب: ((ناوليني ولدي الصغير حتّى أودّعه)). فأخذه وأومأ إليه ليقبّله، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فوقع في نحره فذبحه[3][4].

يقول الراثي:

---

(١) المنتخب - للطريحي / ٤٤٠، بحار الأنوار ٤٥ / ٤٧، الدمعة الساكبة ٤ / ٢٣٦.

وَأَحَـــطْنَ فـــيه بناتُـــهُ وعيالُـــه ... فـــكأنَّهُ بَـــدرٌ يُـــحاطُ بـــأنجُمِ

وأتتـــه زينـــبُ والنســـاءُ صـــوارخاً ... والـــدمعُ مِـــن أجفانهـــا كالعنـــدمِ

يَـــدعونه يـــا كهفَنـــا وعِمادَنـــا ... ومـــلاذَنا في كُـــلِّ خَطْـــبٍ مُـــؤلِمِ

السيّد مهدي الأعرجي - رياض المدح والرثاء / ٧٦١.

تـــنادي يـــخويه او مالـــك امعـــين ... او گومـــك علـــى الرَمضـــه مطـــاعين

آنـــه امنـــين أجيـــب المرتضـــه امنـــين ... عـــن كـــربله بويـــه غبـــت ويـــن

فزعوا فرد فزعه عله احسين

(٢) الدعوات - للراوندي / ٥٤، ح ١٣٧، بحار الأنوار ٩٥ / ١٩٦، ح ٢٩.

(٣) إبصار العين / ٢٤، تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٢، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٢ - ٢٠٣، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٧٠، وسمّاه ابن شهر آشوب في المناقب ٢ / ٢٢٢ علي الأصغر. وذكر السيّد ابن طاووس في الإقبال زيارة للحسين يوم عاشوراء، جاء فيها: صلّى الله عليك وعليهم، وعلى أولادك علي الأصغر الذي فُجِعْتَ به ... أمّا الذي نصّ على أنّه عبد الله وأمّه الرّباب فهو الشيخ المفيد في الاختصاص / ٨٣، وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين / ٥٩.

=

ومُـــنْعَطِف أهـــوى لِتقبيـــلِ طِفْلـــهِ فقبَّـــل مِنْـــه قَبْلَـــه السَّـــهْمُ مَنْحَـــرا[1]

فقال عليه السلام لزينب: ((خذيه)). ثمّ تلقّى الدم بكفّيه فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء[2]، ثمّ قال: ((هوّن عَلَيّ ما نزل بي أنّه بعين الله. اللّهمّ لا يكوننّ أهون عليك من فصيل ناقة صالح))[3][4].

= (٤)

أعـــزز عَلَـــيّ وأنـــتَ تحمـــلُ طفـــ ـــلك الظـــامي وحَـــرُّ أوامِـــه لا يـــبردُ

قـــد بُـــحَّ مِـــن لفـــح الهجـــيرةِ صَـــوتُه بـــمرنّة مـــنها يـــذوبُ الجلمـــدُ

وقصـــدتَ نحـــو القـــومِ تطلـــبُ مـــنهمُ ورداً ولـــكن أيـــن منـــك المـــوردُ

والـــقوسُ طَـــوَّقَ نحـــرَه فكأنّـــه خـــيط الهـــلال يحـــلُّ فيـــه الفرقـــدُ

وعلـــى الربيّـــةِ في الخيـــام نـــوائحٌ تـــومي لطفلـــك بالشـــجى وتـــردّدُ

السيّد جواد شبّر - مقتل الحسين - للمقرّم / ٢٧٢ - ٢٧٣.

(١) من قصيدة للسيّد حيدر الحلّي، رياض المدح والرثاء / ٦٣.

(٢) البداية والنهاية ٨ / ٢٠٣.

(٣) مقاتل الطالبيين / ٦٠، وعن الباقر عليه السلام : ((فلم تسقط منه قطرة)) كما في اللهوف / ٥١، مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٢، المناقب - لابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٢.

(٤)

تـــدري الـــوالده تتهنّـــه بـــالمولود مِـــنِ تشـــوفه بكترهـــا يلعـــب وموجـــود

تنســـه التعـــب كلّـــه والســـهر مفگـــود يـــبني ربـــاك مـــا حسّـــبت مـــاذيني

رِدِتْ أتـــهنّه بيّامـــك يَبَعـــد الـــروحْ ويـــن اتمثّلـــك هَـــمِّ البگلـــبي يـــروحْ

بعدما حسّبت يَبني ترِدْ مذبوحْ

أدب المنبر الحسيني / ٣٥٠ - ٣٥١.

ثمّ وقف قبالة القوم وسيفه مصلت في يده، آيساً من الحياة، عازماً على الموت[1] وهو يقول:

أنَـا ابْـنُ [عليّ] الـطُّهْرِ مِـنْ آلِ هـاشِمٍ كَـفانِي بـهذا مَـفخرٌ حـين أفـخرُ

وجـدّي رسـول الله أكـرم مَـنْ مشـى ونحـنُ سـراجُ اللهِ في الأرضِ يَزْهَـرُ[2]

قال الراوي: فوالله ما رأيت مكثوراً[3] قط قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه[4]! وإن كانت الرّجال لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب! ولقد كان يحمل عليهم وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً فينهزمون بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر، ثمّ يرجع إلى مركزه ويقول: ((لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم))[5].

وأنشأ عليه السلام هذه الأبيات:

فَـإنْ تَـكُنِ الـدُّنْيا تُـعَدُّ نَـفيسَةً فَـإنَّ ثَـوابَ اللهِ أعـلى وأَنْـبَلُ

وإنْ تَـكُنِ الأبْـدانُ لِلْمَـوتِ أُنشِـئَتْ فَقَتْـلُ امـرئ بالسـيفِ في الله أفضـلُ

وإنْ تَـكُنِ الأرْزاقُ قِـسْماً مُقـدّراً فَقِلَّـةُ سَـعْيِ المـرءِ في الكَسْـبِ أجْمَـلُ

---

(١) مثير الأحزان - للجواهري / ٨٥، مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٣٣.

(٢) الصواعق المحرقة / ١١٧ - ١١٨، المنتخب - للطريحي / ٤٥٢، كشف الغمّة ٢ / ٢٣٧، المناقب - لابن شهر آشوب ٤ / ٨٠، بحار الأنوار ٤٥ / ٤٩.

(٣) المكثور: هو الذي تكاثر عليه الناس.

(٤)

يلقـى الكمـاةَ بثغـرٍ باسـمٍ فرِحـاً كـأنّهم لِنـدى كفّيـه قـد طلبـوا

الشيخ عبد الرضا الخطّي - أدب الطفّ ٧ / ٢٩٦.

(٥) اللهوف / ٥١، وفي تاريخ الطبري ٤ / ٢٤٥: ما رأيت مكسوراً، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٤.

وإنْ تَــكُنِ الأمْــوالُ للــترك جَمْعُهــا فمــا بــالُ مَــتروكٍ بــه المـرءُ يَبْخَــلُ[1]

ولم يزل يقتل كلّ مَنْ دنا منه حتّى قَتَل منهم مقتلةً عظيمةً، فلمّا نظر الشّمر إلى ذلك قال لابن سعد: أيّها الأمير، واللهِ لو برز إلى الحسين أهل الأرض لأفناهم عن آخرهم[2]؛ فالرأي أن نفترق عليه، ونملي الأرض بالفرسانِ، ونحيط به من كلّ جانب[3].

فصاح ابن سعد: الوَيلُ لكمْ! أتدرون لمِنْ تُقاتلون؟! هذا ابنُ الأنزعِ البطين، هذا ابنُ قتّالِ العرب! فاحْملوا عليه من كُلّ جانب. فحملوا عليه ورموه بالنبالِ، وحالوا بينه وبين رحله، فصاح بهم: ((ويحَكم يا شيعة آلِ أبي سفيان! إن لم يكنْ لكم دينٌ، وكنتم لا تخافونَ المعاد، فكونوا أحراراً في دُنياكم، وارْجعوا إلى أحسابكم إنْ كنتم عُرُباً)).

فناداهُ شِمْرُ: ما تقول يابن فاطمة؟

قال: ((أقول: أنا الّذي أُقاتلكم وتُقاتلونني، والنّساء ليسَ عليهنّ جُناحٌ، فامنعوا عُتاتكم عن التّعرّضِ لحرمي ما دُمْتُ حيّاً)).

فقال شِمْرٌ: لك هذا. ثمّ صاح: إليكم عن حرم الرّجل، واقصدوه في نفسه؛ فلَعَمْري هو كفؤٌ كريم.

قال: فقصده القوم وهو يطلب شربة من ماء، فكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه بأجمعهم[4] حتّى أجلوه عنه[5]، ثمّ رماه رجل من القوم يُكنّى أبا الحتوف بسهم فوقع في

---

(١) بحار الأنوار ٤٥ / ٤٩، العوالم ١٧ / ٢٩٢.

(٢)

رامــتْ تقــودُ الليــثَ طَــوْعَ قيادهــا وأَبــا أبــو الأشــبال أن ينقــادا
فــسطا علــيهم كــالعفريّ مفــردا وأبــادهم وهــم الرّمــالُ عــدادا
يسـطو فيختطـف النفـوسَ بعضـبه الـ ـماضي الشـبا ويـوزّع الأجسـادا
فــتراه يــخطبُ والسِــنانُ لســانُه فــيهم وظَــهرُ جَــواده أَعــوادا
فــجلا عــجاجَتها ولــفَّ خيولَهــا وطــوى الرجــالَ وفَــرَّقَ الأجنــادا

الشيخ محمّد علي قسّام - أدب الطفّ ١٠ / ٦٢.

(٣) ينابيع المودّة / ٤١٨، المنتخب - للطريحي / ٤٦٣.

(٤)

مِــن يگحــم علــى الليــث ابعرينــه يجــر يســراه والســيف ابيمينــه

ابن نصار - النصاريّات الكبرى / ٣٤.

(٥) المناقب - لابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٣، اللهوف / ٥٢، أعيان الشيعة ١ / ٦٠٩، مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٣٣، بحار الأنوار ٤٥ / ٥١.

جبهته[1]، فنزعه من جبهته فسالت الدّماء على وجهه ولحيته[2]، فقال عليه السلام : ((اللّهمّ إنّك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة)). ثمّ حمل عليهم كاللّيثِ المغضب؛ فجعل لا يلحق منهم أحداً إلاّ بعجه بسيفه فقتله، والسّهام تأخذه من كلّ ناحية، وهو يتّقيها بنحره وصدره[3].

وخرج عبد الله بن الحسن بن علي[4] - وهو غلام لم يراهق - من عند النساء يشتدّ حتّى وقف إلى جنب الحسين عليه السلام ، فلحقته زينب بنت علي لتحبسه، فقال لها الحسين عليه السلام : ((احبسيه يا زينب)).

فأبى الغلام وامتنع امتناعاً شديداً، وقال: والله لا أُفارقُ عمّي. فأهوى أبجر بن كعب إلى الحسين بالسّيف ليضربه،

---

(١) مقتل الحسين - للمقرّم / ٢٧٨.

(٢)

سهمٌ أصابك يابن بنت محمّدٍ ... قلباً أصابَ لِفاطمٍ وفؤادا

الشيخ محمّد علي قسّام - أدب الطفّ ١٠ / ٦٢.

(٣)

كأنَّ لديه الحرب إذ شَبَّ نارُها ... حدائقُ جناتٍ وأنهارُها دمُ

كأنَّ لديه السمهريّاتِ في الوغى ... نشاوى غصونٍ هزهنّ التنسّمُ

كأنّ الحسام المشرفيّ بكفّه ... .

السيّد عبد الوهّاب الوهّاب - أدب الطفّ ١٨٣/٨.

(٤) وله إحدى عشرة سنة.

فقال له الغلام: ويلك يابن الخبيثة! أتقتل عَمّي؟! فضربه أبجر بالسّيف، فاتّقاه الغلام بيده فأطنّها إلى الجلدة فإذا يده معلّقة، فنادى الغلام: يا عَمّاه! فأخذه الحُسينُ عليه السلام فَضَمَّه إلى صدره، وقال: ((يابن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير؛ فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين))[1].

وخرج غلام من النساء[2] فوقف بين أطناب الخيم، وهو مذعور يتلفَّت، وفي أُذنيه قرطان يتذبذبان على خدّيه، فأرادت أُمّه حبسه فهرب منها، وهو يقول: لا والله، لا أرجع حتّى أذهب إلى عمّي. فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم، فوضع الغلام يده على جبهته ليتّقي الرمية فسمر السهم يده إلى جبهته، فصاح الغلام: يا أُمّاه! فصاح الحسين عليه السلام: ((صبراً يا بني أخي على ما تجدون)). فصارت أُمّه شهربانويه تنظر إليه ولا تتكلّم كالمدهوشة[3][4].

ثمّ رفع الحُسين عليه السلام يده وقال: ((اللّهمّ أمْسِك عنهم قَطْرَ السّماء، وامْنعْهم بركاتِ الأرْضِ))[5]. ثمّ جعل يأخذ الدّم ويُخضبُ به وجهه ويقول: ((هكذا ألقى الله وأنا مُخضّبٌ بدمي))[6]. وصار لا يضع قدماً على الأرض إلاّ وثبت بمقدارها دماً على الأرض.

ووقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال، أتاه سهم محدّد مسموم له ثلاث

---

(١) اللهوف / ٥٣، تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٤، مقاتل الطالبيين / ٧٧، المنتخب - للطريحي / ٤٥١.

(٢) الكلام ما زال عن نفس هذا الغلام، وهو عبد الله بن الحسن عليه السلام كما في اللهوف / ٥٣، ثمرات الأعواد ١ / ٢١١، الإرشاد ٢ / ١١٤ - ١١٥، طبع إيران، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٢، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٧١.

(٣) مقتل الحسين - للحيّاوي.

(٤)

فـــــدوّى صـــــراخُ الأمِ تلقـــــى وليـــــدها ذبيحـــــاً قـــــد احمـــــرّتْ وريـــــداه والشَـــــعرُ

تُـــــقبّلهُ مِـــــن جُـــــرحِهِ وتَـــــضُمُّه .....

للأديب حسين الأعظمي - أدب الطفّ ١٠ / ١١٠ - ١١١.

(٥) تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٤ - ٣٤٥، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٧١.

(٦) اللهوف / ٥٤، بحار الأنوار ٤٥ / ٥٤، مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٣٤.

شعب فوقع في صدره - وفي بعض الروايات: على قلبه[١] - فقال الحسين عليه السلام: ((بسم الله وبالله، وعلى ملّة رسول الله)).

ورفع رأسه إلى السّماء وقال: ((إلهي، إنَّكَ تعلمُ أنَّهمْ يقتُلون رجلاً ليسَ على وجهِ الأرْضِ ابنُ نبيٍّ غيره)). ثمّ أخذ السّهمَ فأخرجه من قَفاه فانبعث الدّمُ كالميزاب[٢]، ثمّ خرّ على خدّه الأيسر صريعاً.

وخرجت زينب من باب الفسطاط وهي تنادي: وا أخاه! وا سيّداه! وا أهل بيتاه! ليت السّماء أطبقت على الأرض[٣][٤].

وصاح شمر: ما تنتظرون بالرّجل[٥]؟! فبدر إليه خولى بن يزيد الأصبحي ليحتزّ رأسه فأرعد، فقال شمر: فتّ الله في عضدك، ما لك ترعد؟! فنزل شمر إليه فذبحه[٦][٧].

---

(١)

سهمٌ رمى أحشاك يابن المصطفى ... سهمٌ به قلبُ الهداية قد رمي

الشيخ إبراهيم آل نشرة البحراني - رياض المدح والرثاء / ٤٥٢.

(٢) اللهوف / ٥٢، مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٣٤، بحار الأنوار ٤٥ / ٥٣، ينابيع المودّة / ٤١٨، نفس المهموم / ١٨٩.

(٣) الكامل في التاريخ ٢ / ٥٧٢، اللهوف / ٥٤، البداية والنهاية ٨ / ٢٠٤، تاريخ الطبري ٤ / ٢٤٥، الإرشاد / ١١٦.

(٤) الشيخ حسين شهيب - أدب الطفّ ١٠ / ١٥.

(٥) تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٦، اللهوف / ٥٤، مقتل الحسين - للخوارزمي ٢ / ٣٦.

(٦) بحار الأنوار ٤٥ / ٥٦، الإرشاد / ١١٧، وفي تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٦ أنّ سنان بن أنس بن عمرو النخعي هو الذي ذبح الحسين عليه السلام ثمّ أخذ رأسه، ثمّ دفعه إلى خولى بن يزيد. وعلى هذا القول صاحب البداية والنهاية ٨ / ٢٠٤، والكامل في التاريخ ٢ / ٥٧٢، ومروج الذهب ٣ / ٧٦، أمّا في مقاتل الطالبيين فقد ذكر القولين.

(٧) وا حسيناه! وا حسيناه! وا حسيناه! وا سيّداه! وا غريباه! وا مظلوماه! وا ذبيحاه!

بالله يا شمر عنّه دوخّر ... اذبحني او خلّي اخويه احسين وسدر

تگلّه يا شمر بالله دخلّيه ... او ما شافه امن الطبرات يبريه

تشوفه ايلوج ما غير النَّفَس بيه ... او عينه نوب يشبحهه او تغمر

دگلّي يا كتر خالي امن الجروح ... تحطّ سيفك يخايب والدمه ايفوح

طبره فوگ طبره تشعب الروح ... يشوغ الگلب من عدها او يفغر

=

قال الخوارزمي: بقي الحسين مكبوباً ثلاث ساعات من النّهار متشحّطاً بدمه، رافعاً بطرفه إلى السماء وهو يقول: ((صَبْراً على قَضائِكَ، لا معبودَ سِواكَ يا غِياثَ المستغيثين))[١].

وفي المنتخب[٢]: فبادر إليه أربعون رجلاً كلّ منهم يريد حَزَّ رأسه، وعمر ابن سعد يصيح عجِّلوا برأسه. وكان أوّل مَنْ ابتدر إليه شبث بن ربعي، وكان بيده سيفٌ قاطعٌ، فدنا منه ليحتزَّ رأسه فرمَقَه بعينه، فرمى السّيف من يده وولّى هارباً وهو يُنادي: معاذ الله يا حسين أن ألقى الله[٣] بدمك!

قال[٤]: فأقبل إليه رجلٌ قَبيح الخِلْقَةِ، كَوْسَجُ اللّحية، أَبرَصُ اللّون يُقالُ له: سِنان، فنظر إليه الحُسين عليه السلام، فلم يجسرْ عليه وولّى هارباً وهو يقول: ما لَك يا عمر بن سعد! غضب الله عليك، أردت أن يكون محمّدٌ خَصمي[٥]!

قال بعضهم[٦]: وقفتُ عليه وإنّه لَيَجود بنفسه، فوالله ما رأيتُ قَتيلاً مُضمّخاً بدمِهِ أحْسَنَ منه ولا أَنْوَر وجهاً! ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيئته عن الفِكْرة في قتله.

---

(١) ينابيع المودّة / ٤١٨، أسرار الشهادة / ٤٢٣.

(٢) المنتخب - للطريحي / ٤٦٤.

(٣) في نفس المصدر:.. ألقى أباك بدمك.

(٤) أي: قال الطريحي.

(٥) المنتخب - للطريحي / ٤٦٤.

(٦) والقائل هو هلال بن نافع، اللهوف / ٥٥، بحار الأنوار ٤٥ / ٥٧.

عَفِـــيراً[١] مَـــتى عايَنَتْـــهُ الكُمـــاة[٢] يَخـــتطفُ الـــرُّعْبُ أَلـــوانَها

فَـــما أَجْـــلَتِ الحَـــرْبُ عَـــن مِثْلِـــهِ صَريـــعاً يُـــجبِّنُ شُـــجعانَها

تَـــريبَ المحيّـــا[٣] تظـــنُّ الســـما بـــأنَّ علـــى الأرض كيوانَهـــا[٤]

غَريبـــاً أرى يـــا غريـــبَ الطّفـــوف تَوسُّـــدَ خَـــدّك كـــثبانَها[٥]

انتهى.

وفي رواية أنّ الحسين عليه السلام حمل وهو يقول:

كَـــفَرَ الـــقَوْمُ وَقِـــدْمَاً رَغَبُـــوا عَـــنْ ثَـــوابِ اللهِ رَبِّ الثَّقَلَـــيْن

حَـــنَقاً مِـــنْهُمْ وَقَـــالوا إنّـــنا نَـــأخُذُ الأوَّلَ قِـــدْماً بالحُسَـــين

يـــا لَقَـــوْمي مِـــنْ أُنـــاس قَـــد بَغَـــوا جَمَعُـــوا الجَمْـــعَ لأَهْـــلِ الحَـــرَمَين

لا لِـــذَنْبٍ كـــانَ مِـــنّي سَـــابقاً غَيْـــرَ فَخْـــري بضِـــياء الفَرْقَـــدَيْن

بِـــعَليِّ الطُّهْـــرِ مِـــنْ بَعْـــدِ النّـــبيّ خَيْـــرَةٍ مِـــنْ هاشِـــم في الخـــافِقَين

خَـــيْرَةُ اللهِ مِـــنَ الخَلْـــقِ أَبي بَعْـــدَ جَـــدِّي فَأنـــا ابْـــنُ الخَيْـــرَتَيْن

أُمّـــيَّ الـــزَّهراءُ حَقّـــاً وأَبي وَارِثُ الـــعِلْمِ ومَـــولى الثَّقَلَـــيْن

فِـــضَّةٌ قَـــدْ خَلَصَـــتْ مِـــنْ ذَهَـــبٍ فَـــأَنا الـــفِضَّةُ وَابْـــنُ الـــذَّهَبَيْن

ذَهَـــبٌ في ذَهَـــبٍ في ذَهَـــبٍ وَلُـــجَينٌ في لُجَـــينٍ في لُجَـــيْن

وَالـــدِي شَـــمْسٌ وأُمّـــي قَمَـــرٌ فَـــأَنَا الكَوْكَـــبُ وابْـــنُ القَمَـــرَيْن

مَـــنْ لَـــهُ جَـــدٌّ كَجَـــدِّي في الـــوَرى أو كـــأُمّي في جَميـــعِ المشْـــرِقَيْن

---

(١) العَفير: المعفّر بالتراب.

(٢) الكُماة: الأبطال.

(٣) تريب المحيّا: على وجهه التراب.

(٤) كيوان: اسم زُحل بالفارسيّة.

(٥) القصيدة من أروع قصائد السيّد حيدر الحلّي رحمه الله، رياح المدح والرثاء / ٨٧.

عَبَـــــدَ اللهَ غُلامـــــاً يـــــافعاً وقُـــــرَيشٌ يَـــــعْبُدُون الـــــوَثَنَيْن

يَـــعْبُدُونَ الـــلاّتَ والعُـــزّى مَعـــاً وعـــليٌّ كـــانَ صَـــلّى القِبْلَتَـــيْن

مَـــن لـــه جَـــدٌّ كجـــدّي في الـــورى أو كـــشيخي فأنـــا ابـــنُ العَلمـــين

خَـــــصَّهُ اللهُ بِـــــفَضْلٍ وتُـــــقىً فَـــأَنَا الأَزْهَـــرُ وابـــنُ الأَزْهَـــرَيْن

نَـــحْنُ أصْـــحابُ العَبـــا خَمْسَـــتُنا قَـــدْ مَـــلَكْنا شَـــرْقَها والمغْـــرِبَيْن

جَـــدِّيَ المرْسَـــلُ مِصْـــباحُ الـــدُّجا وأَبـــي الـــمُوفي لَـــهُ بـــالبَيْعَتَيْن

والّـــذي خَـــاتَمُهُ جـــادَ بِـــهِ حـــينَ وافى خاشِـــعاً في الـــرَّكْعَتَيْن

قَـــتَلَ الأَبْـــطالَ لَـــمّا بَـــرَزُوا يَـــوْمَ أُحْـــدٍ وبِـــبَدْرٍ وَحُـــنَين

أَظْـــهَرَ الإســـلامَ رَغْمـــاً لِلْعِـــدا بِحُسَـــامٍ صَـــارِمٍ ذي شَـــفْرَتَيْن[1]

* * *

(١) ينابيع المودّة / ٤١٦، الفتوح ٥ / ١٣٢، المناقب - لابن شهر آشوب ٤ / ٨٠، كشف الغمّة ٢ / ٢٧، المنتخب - للطريحي / ٤٥٢ - ٤٥٣، الاحتجاج ٢ / ١٠١ - ١٠٣، دار الأُسوة - إيران، بحار الأنوار ٤٥ / ٤٧، ناسخ التواريخ ٢ / ٣٦٨، وهناك اختلاف في الألفاظ وعدد الأبيات بين المصادر المذكورة.

ملحمة الطفّ

للشيخ حسن الدمستاني البحراني[1] المتوفّى سنة ١٢٨١ هـ (رحمة الله عليه)

بـأبي أفـدي نفوسـاً قُتِلُـوا دونَ الحسـين لـيتني بيـنهمُ كنْـتُ قطيـعَ الـودَجَين

* * *

أَحْرَمَ الحُجّـاجُ عَنْ لَذّاتِهِمْ بَعْضَ الشُّهورِ وأَنـا الـمُحْرِمُ عَـن لذّاتِـهِ كُـلّ الـدُّهورِ

كـيفَ لا أُحـرِمُ دَأبـاً نَـاحِراً هـديَ السُّرورِ وأَنـا في مَشْـعَرِ الحـزنِ علـى رُزْءِ الحُسَـيْنْ

* * *

حَـقَّ للشّـاربِ مِـنْ زمـزَمَ حُـبَّ المصـطفى أن يـرى حَـقَّ بَـنيهِ حَـرَماً مُعْتَكفـا

ويـواسيهمْ وإلاّ حَـادَ عَـن بَـابِ الصـفا وهـو مـن أكـبرِ حَـوْبٍ عِنْـدَ رَبِّ الحَرَمينْ

* * *

فَمِـنَ الفَـرْضِ علينـا لُـبسُ سِـربالِ الأَسـى واتِّـخاذِ الـنَّوحِ دَأبـاً كُـلَّ صُـبْح ومَسَـا

واشـتعال القلـب أحزانـاً تُـذيب الأنْفسـا وقَليـلٌ تُتلـفُ الأرواحُ في رُزْءِ الحُسـيْنْ

* * *

---

(١) رياض المدح والرثاء / ٦١٣.

لَسْتُ أنساهُ طَريداً عَنْ جِوارِ المصطفى لائِذاً بالقُبَّةِ الزَّهراءِ يشكو أَسَفا
قائلاً يا جَدُّ رَسْمُ الصَّبْرِ عَن قلبي عَفا بِبَلاءٍ أَنْقَضَ الظّهرَ وأوهى المنكبينْ

* * *

صَبَّتِ الدُّنيا عَلينا حاصِباً مِنْ شَرِّها لم نَذُق فيها هَنيئاً بُلْغَةً من بِرِّها
ها أنا مطرودُ رِجْسٍ فاجرٍ في بَرِّها تارِكاً بالرغم مِنّي دارَ سُكنى الوالِدَينْ

* * *

ضُمَّني عِندك يا جدّاهُ في هذا الضَريحْ علَّني يا جَدُّ مِن بلوى زماني أستريحْ
ضاق بي ياجَدُّ مِنْفَرْطِ الأسى كلُّ فَسيحْ فعسى طَودُ الأسى يَندكُّ بينَ الدَّكتينْ

* * *

جَدُّ صفوُالعَيْشِ مِنْ بَعْدِكَ بالأكدارِ شيب وأَشَابَ الهَمُّ رأسي قبل أيّامِ المشيبْ
فَعَلى مِن داخِل القَبْرِ بُكاءٌ ونَحيبْ ونِداءٌ بافتجاعٍ يا حَبيبي يا حُسينْ

* * *

أَنْتَ يا رَيحانَة القَلْبِ حقيقٌ بالبلا إنّما الدنيا أُعِدَّتْ لِبلاءِ النُبلا

لـكن الـماضي قليـلٌ بالـذي قـد أقـبَلا فاتخـذ درعـينِ مِـن حَـزْم وعَـزْم سـابِغَيْنْ

* * *

سـتذوقُ المـوتَ ظُلمـاً ضَـامياً في كـربلا وسـتبقى فـي ثـراها عَـافِراً منجـدِلا
وكـأنّي بـلئيمِ الأصْـلِ شمـر قـد عَـلا صَـدْرَك الطـاهرَ بالسـيفِ يَجُـزُّ الـوَدَجَيْنْ

* * *

وكـأنّي بـالأيامى مِـن بـناتي تَسـتغيثْ سُـغُباً تَـستعطِفُ القَـوْمَ وقـد عَـزَّ المغيـث
قد برىأجسامَهُنَّ الضَّرْبُ والسَّيْرُ الحَثيثْ بينها السجّادُ في الأصفادِ مَغلولَ اليَدَيْنْ

* * *

فَـبكى قُـرّةُ عَـيْنِ الـمُصطفى والمرتضـى رَحْـمَةً لـلآلِ لا سُـخْطاً لِـمحتوم الـقضا
إذهُوَ القُطْبُ الذي لم يحط عنسَمْتِ الرِّضا مـقتدى الأُمّـةِ والـي شَـرْقِها والـمَغْرِبَيْنْ

* * *

حـين نـبّأ آلَـهُ الـغُرَّ بمـا قـالَ النـبي أظْـلَمَ الأُفْـقُ عـليهم بـقتامِ الـكُرَبِ
فـكأنْ لـم يَستبينوا مَشـرقاً مِـن مَغْـرِبِ غَشِيَتْهُمْ ظُلماتُ الحُزْنِ مِن أجْلِ الحُسَيْنْ

فسرى بالأهلِ والصحبِ بِمَلْحوبِ الطريقْ يَـقطعُ الـبَيْدا مُجـدّاً قاصِـدَ البَيـتَ العَتيـق
فَـأَتَتْهُ كُـتُبُ الـكوفَةِ بـالعَهْدِ الـوَثيقْ نَـحْنُ أنـصارُك فـاقدِمْ سَـترى قُـرَّةَ عَـينْ

* * *

بَـينما الـسِّبْط بـأهليه مُجـدّاً بالمسـيرْ وإذا الـهاتفُ يَـنعاهم ويـدعو ويُشـيرْ
إنَّ قُـدّامَ مـطاياهم مَـناياهُم تَـسيرْ ساعةً إذْ وَقَفَ المهْرُ الذي تَحْتَ الحُسينْ

* * *

فَـعَلا صـهوةَ ثـانٍ فـأبى أن يَـرْحلا فَدعا في صَحْبِهِ يا صَحْبُ ما هذا الفَلا
قـالوا هـذي كـربلاءُ قـال كَـرْبٌ وبَـلا خَيِّموا إنَّ بِهذي الأرضِ مَلقى العَسْكَرينْ

* * *

هاهُنـا تُنْتَـزَعُ الأرواحُ مِـن أجسـادِها بِضُـبا تعتـاضُ بالأجسـادِ عَـن أغمادهـا
وبهـذي تُحْمَـلُ الأمجـادُ في أصـفادها في وَثـاقِ الطُلقـاء الأدعيـاءِ الوالـدينْ

* * *

وبِهـذي تُرْمَـلُ الأزواجُ مِـن أزواجهـا وبهـذي تشـربُ الأطفـالُ مِـن أوداجهـا

وبــهذي أنــجمُ الأمــجادِ عــن أَبراجهــا غائبـاتٍ في ثـرى البُوغـاء مَحجوبـاتِ بـينْ

* * *

فَأظــلَّتْهُم جنــودٌ كــالجَرادِ الــمُنْتَشِرْ مِـثْلُ شِـمْرٍ وابـنِ سـعد كـلّ كـذّاب أَشِـرْ
فاصطلى الجَمْعانِ نارَ الحَرْبِ في يَوْم عَسِرْ واستدارَتْ في رَحى الهيجاءِأنصارُ الحسينْ

* * *

يَحْسَـبونَ البِـيضَ إذ تلـبس بِـيضَ الكُلَـلِ بــيضَ أُنــس يَــتَمايَلْنَ بِحُمْــر الحُلَــلِ
فــيذوقونَ الــمنايا كَــمذاقِ الــعَسَلِ شـاهدوا الجنّـةَ كَشْـفاً وَرَأَوْهـا رَأيَ عَـيْنْ

* * *

بِــأَبي أَنــجمُ سَـعْد فــي هُبـوطِ وصُـعُودْ طَلَعَتْ في فَلَكِ المِجْدِ وغابَتْ فياللُحودْ
سَعُدَتْبالذَبح والذابِحُ عَنبَعْضِالسُعودْ[1] كـيفَ لا تـسعد في حـالِ اقترانٍ بالحُسينْ

* * *

بــأبي أقــمارُ تَمٍّ خُسِـفَتْ بـين الصِّـفاح وشمـوسٌ مِـن رُؤُس في بُـروج مِـن رِمـاح

---

(١) السعود: هي عشرة كواكب (نجوم) يُقال لكلّ واحد منها: سَعْد.

ونُفــوسٌ مُنِعَــتْ أن تَــرِدَ المــاءَ المِــاح جُــرِّعَتْ كــأسَ أوام وحِمــام قــاتِلَيْنْ

* * *

عنـدها ظَـلَّ حُسَـينٌ مُفْـرَداً بـينَ الجُمُـوعْ يَنْظُرُ الأهْـلَ ويَـذري مِـن أماقِيـهِ الـدُمُوعْ
فانتضى للذبِّ عنهم مُرْهَفَ الحَدِّ لَموعْ عَــزْمُهُ يقربــه بالحَــدِّ مَاضــي الشَــفْرَتَيْنْ

* * *

فَـاتِحاً مِـنْ مَجْلسِ التّوديعِ للأحبـابِ بـابْ فاحْتَسوا مِن ذلكَ التّوديعللأوصابِصابْ
مُوصيَ الأُخت التيكانت لها الآدابدَأبْ زَيــنبَ الــطهرِ بــأمرٍ وبــنهي نافــذَيْنْ

* * *

أُختُ يـا زينـبُ أُوصيكِ وصـايا فـاسْمَعي إنّــني في هــذه الأرضِ مُــلاق مَصــرعي
فاصـبري فالصّـبرُ مِـنْ خَـيْر التـذاذِ المرْتَـعِ كــلّ حَــيٍّ سَـيُحيّيه مِـن الأحيـاءِ حَـيْنْ

* * *

في جَليلِالصّبْرِياأُخْتُ اصبريالصَّبْرَالجَميلْ إنّ خيرَ الصّبْر ماكانَ علىالخَطْبِ الجَليلْ
واتـركي الـلَّطْمَ عـلى الخَدّ وإعـلانِ العَويـلْ ثـمّ لا أكْـرَهُ أن تَـسقي الـدّموعَ الـوَجْنَتَيْنْ

واجمعي شَمْلَ اليتامى بَعْدَ فقدي وانظمي أشْبِعي مَنْ جاعَ منهم ثمّ أروي مَن ظمي
واذكـريني إنّ فـي حِـفظِهِمُ طُـلَّ دَمـي لـيتني بـينهمُ كـالأَنْفِ بـينَ الحـاجِبينْ

* * *

أُخْـتُ آتـيني بـطفلي أَرَهُ قَبْـلَ الفِـراقْ فَـأَتَتْ بالطِفـل لا يَهْـدَ ولا المِـدْمَعُ راقْ
يَـتلظّى ظَـمأً والقلـبُ منـه في احـتراقْ غـائِرَ العَينينِ طاوي البَطْنِ ذاوي الشَفَتينْ

* * *

فَـبكى لـمّا رآه يـتلظّى بـالأوامْ بِدموعٍ مِن أماق تُخْجِلُ الغَيْثَ السِّجامْ
فَـأتى الـقَوْمَ وفي كَفَّيْـهِ ذَيّـاكَ الغُـلامْ وهُـما فـي ظمـأٍ قَلبَاهُمـا كـالجَمْرَتينْ

* * *

فَـدعا في القـوم يـا للهِ لِلْخَطْـبِ الفَظيـعْ نَبِّـؤني أَأنـا المِـذنبُ أم هـذا الرَّضـيعْ
لاحِـظوهُ فَـعَلَيْهِ شَـبَهُ الهـادي الشَّـفيعْ لايَكُنْ شافعُكُم خَصْماً لكم في النّشْأَتَينْ

* * *

عَـجِّلُوا نحـوي بمـاء أسـقهِ هـذا الغُـلامْ فَحشـاهُ في أُوام في احـتراق واضـطرامْ

فـاكتفى القـومُ مِـن القَـوْلِ بتَكليمِ السِّـهامْ وإذا بالــطفلِ قَــد خَــرَّ ذَبــيحَ الــوَدَجَينْ

* * *

فـالتقى ممّـا هَمـا مِـنْ مَنْحَـرِ الطِّفْـل دَمَـا ورَمــاهُ صــاعِداً يشــكو إلى رَبِّ السَّــما
ويـنادي يـا حكيمـاً أنـتَ خَـيرُ الحُكَمـا فَجَـعَ القـوم بهـذا الطفـل قَلْـبَ الوالـدينْ

* * *

وأغــارَ الــسِبْطُ لــلهيجا بمــأمونِ العِثــارْ إذْ أثــار الــضُّمّرُ الــعيثَرَ بــالنقع فَثَــارْ
يحسـبُ الحَـرْبَ عَروسـاً وبهـا الـروسُ نَثَـارْ ذكَّــر الــقومَ بِــبَدْر وبأُحْــد وَحُــنينْ

* * *

بَطَلٌ فَـرْدٌ على الجَمْعِ منَ الأبْطال صَـالْ أَسَـدٌ يَـفْتَرسُ الأُسْـدَ على الآجـالِ جَـالْ
مــا لَــهُ غَــيرُ إلــهِ العَــرْشِ في الأهــوالِ وَالْــ مــا سَــطا في فِرْقَــةٍ إلاّ تولّــتْ فِــرقتينْ

* * *

مـا لَـهُ في حَوْمَـةِ الهيجـاءِ في الكَـرِّ شَـبيهْ غــير مولانــا علــيٍّ والفــتى سِــرُّ أَبيــه
غَــيْرَ أنَّ القــومَ بــالكَثْرَةِ كــانوا مُتعبيــه وهــو ظــامٍ شــفتاه أضــحتا ناشِــفَتينْ

دَأْبـهُ الـذَّبُ إلى أن شَـبَّ بالقلـبِ الأوامْ وحكى جثمانه القنفذَ مِن رَشْقِ السِّهامْ
وتوالى الطَّعْنُ والضَّرْبُ على الليثِ الهُمامْ وعَـراهُ مِـن نَزيـفِ الـدَّمِ ضَعْفُ الساعِدَينْ

* * *

فَـتَدبّ الـغادِرُ البـاغي سِـنانٌ بالسِّـنانْ طاعِناً صَدْرَ إمامي فَهوى واهي الجِنَانْ
أشْـرَفَتْ تبكـي عليـه أَسَـفاً حُـورُ الجِنـانْ وبـكى الكُرسـيُّ والعَـرْشُ عليـه آسِـفَينْ

* * *

مـا دَرى إذْ خَرَّ عَـنْ ظَهْـرِ الجَوادِ السَّابِحِ أَحُـسينٌ خَـرّ أَمْ بُـرْجُ السَّـماكِ الـرّامِحِ[1]
أمْ هُـوَ الـبدرُ وقـد حَـلَّ بِـسَعْدِ الـذّابحِ أم هُوَالشمسُوأينَالشمسُ عَنْنُورِ الحُسَينْ

* * *

أيُّ عَـينين بِـقَاني الـدَّمْعِ لا تَنْهرِقـان وحَبيبُ المصطفى بالطفِّ مخضوباً بقان
دَمُـهُ والـطِّيبُ فـي مَنحَـرِهِ مختلطـان وَلَـهُ قَـدْرُ الـمعالي فَـوْق هَـامِ الفَرْقَـدَينْ

* * *

---

(١) السماك الرامح: كوكب نيّر يُقال له: السماك الرامح؛ لأنّ أمامه كوكباً صغيراً يُقال له: راية السماك ورمحه.

لَهْفَ نَفسي إذْ نحا نَحْوَ الفساطيطِ الحِصان صـاهِلاً مـنفجعاً يَـصْهَلُ مَـذعورَ الجَنـان
مائلَ السَّرْجِ عَثيرَ الخَطْوِ في فَضْلِ العِنـان خاضبَ المِفرقَ والخدّينِ مِن نَحْرِ الحُسينْ

* * *

أَيُّـها الـمُهْرُ تَوَقَّـفْ لا تَخُـمْ حَـوْلَ الخِيـامْ واترُكِ الإعوالَ كيْ لا يَسْمَعُ الآلُ الكِرامْ
كـيف تـستقبلهُمْ تعثـرُ في فَضْـلِ اللِجـامْ وهُـــمُ يـــنتظرونَ الآنَ إقـــبالَ الحُســـينْ

* * *

بَـرَقَ الـمُهْرُ رَجيفـاً عاليـاً منـهُ الصَـهِيل يُخبرُ النسوانَ أنّ السِبْطَ في البوغا جَديل
ودَمُ الـمَنْحَرِ جارٍ خاضبِ الجسمِ يَسيل جـارياً مِـن نـحرِهِ الـدمُ كمـا تَنبـع عـينْ

* * *

خَرَجَـتْ مُـذ سَمِعَـتْ زينـبُ إعـوالَ الجَـوادْ تَحسبُ السِّبط أتاها بالّذي يَهوى الفؤادْ
مـا دَرَتْ أنَّ أخاهـا عـافِرٌ في بَطْـنِ وَادْ ودَمُ الـمَنْحَرِ جـارٍ خَـاضِباً للمنكبـينْ

* * *

مُذْ وَعَتْ ما لاحَ مِنحَالِ الجَوادِ الصّاهِلِ صَـرَخَتْ نـادبةَ الـجَدِّ بِـلُبٍّ ذَاهِـلِ

وبَدَتْ مِـن داخـلِ الخَيمـاتِ آلُ الفاضِـلِ بِصُـراخٍ كـادَ أنْ يَهْـدِمَ رُكْـنَ الحَـرَمَيْنْ

* * *

وغَـدَتْ كُـلٌّ مِـنَ الدّهشـةِ تَهـوي وتَقُـومْ وعـلى أوجـهها مِـن كَـثْرَةِ اللّطـم كُلُـومْ
وحَقيقٌ بَعْدَ كَسْفِ الشَّمْسِ أنْ تَهوي النُجومْ يَـتساقَطْنَ إلى مَـوْضِعِ مـا خَـرَّ الحُسـيْنْ

* * *

وإذا بالشِّـمْرِ جَـاثٍ فَـوْقَ صَـدْرِ الطّـاهرِ يَـــهْبُرُ الأَوداجَ مِـــنْهُ بالحُســـامِ البـــاتِرِ
فَتَـــــساقَطْنَ عـــــليهِ بـــــفؤادٍ طـــــائِرِ صَارخاتٍ قـائلاتٍ خـلِّ يـا شِمْرُ حُسَـيْنْ

* * *

رَأْسُ مَـنْ تَقْطَـعُ يـا شمـرُ بهـذا الصـارِمِ لَـيْسَ تَفـري مِـن وَريديـه بكـبش جـاثِمِ
إنَّ ذا سِـــبْطُ النـــبيِّ القرشـــيِّ الهـــاشِمي أبـــواه خَـــيرةُ اللهِ وذا ابـــنُ الخِيرَتَـــيْنْ

* * *

ارفـع الـصّارِمَ عَـن نحـرِ الإمـامِ الواهِـبِ عِصمةُ الخائفِ في الأرضِ ومأوى الهارِبِ
كيف تُفري نَحْرَ سِبْطِ المصطفى بالقاضِبِ وهـو دَأْبـاً يُكْثِرُ التَّقبيلَ مِن نحرِ الحُسيْنْ

كـان يُؤذيـه بُكـاهُ وهـو في المهْـدِ رَضـيعْ بابنِـهِ قُـدماً فَـداهُ وهـو ذو الشَـأْنِ الرَّفيـعْ
ليتـهُ الآنَ يَـراهُ وهــو في التُــرْبِ صَـرِيعْ يــتلظّى بِــظَمَاهُ فــاحِصاً بــالقَدَمَينْ

* * *

كَـمْ لَـهُ مِـنْ مَلَـكٍ في الملأِ الأعلى عَتِيـقْ وبــيمناهُ يَــسارٌ لــذوي العُســرِ بَريــقْ
ومِـنَ اللهِ علـى النّـاسِ لَـهُ العَهْـدُ الوَثيـقْ إنَّــهُ الحُجّــةُ في الخَلْــقِ ومَــولى الملأيــنْ

* * *

ما أَفادَ الوَعظُ والتوبيخُ في الرّجْسِ الزَنيمْ وانـحنى يفري وريدَي ذلك النَّحْرِ الكريمْ
فـبرى الـرّأسَ وعـلاّهُ علـى رُمْـحٍ قَـويمْ زاهــراً يُــشْرِقُ نُــوراً كــاسِفاً للقَمــرينْ

* * *

شَمْسُ أُفْقِ الدِّينِ أَضحتْ في كسوفٍ بالسيوفْ وتوارتْ عَنْ عُيونِ النّاسِ في أرضِ الطفوفْ
وبدا بـالشمسِ والبدْرِ كسوفٌ وخُسوفْ لـكِنِ الأُفْـقَ مُـضيءٌ بـسنا رَأْسِ الحُسـينْ

* * *

ذَبَـحَ الشِّـمْرُ حُسَـيناً ليتـني كُنْـتُ وِقـاه وغـدا الأمـلاكُ تَنعـاهُ خصوصـاً عُتَقـاه

مـا دَرى المِلعـونُ شمـرٌ أيَّ صَـدرٍ قَـد رَقـاه صَدْرَ مَنْ داسَ فخاراً فَوْقَ هَامِ الفَرقدَينْ

* * *

فَـتَكَ العُصـفُورُ بالصَّـقْرِ فيـا لَلْعَجَـبِ ذَبَـحَ الشِـمْرُ حُسَـيناً غـيرةَ اللهِ اغضـبي
حَـــيدرٌ آجَـــرَكَ اللهُ بـــعالي الرُّتَـــبِ أَدْرَكَ الأعـــداءُ فيـــه ثـــارَ بَـــدْرٍ وحُنـــينْ

* * *

يـا لَـهُ داه دَهـى الإسـلامَ خَطْـبٌ أَعْظَمـا حَـقَّ لـلعينينِ أنْ تَـبكي دِمـاءً عِنْـدَما
فـإذا لَـمْ تَـجْرِ فـي أيّـامِ عاشـورا دَمَـا لأجـودَنَّ بِـماءِ الـعَيْنِ جَـوْدَ الأجـودينْ

* * *

كَيفَ لا تبكي بِشَجْوٍلابنِ بِنْتِ المصطفى إنّـــهُ كـــان سِـــراجاً لـــلبرايا وانـــطفا
حَقّ لَو في فَيْضِ دَمْع العَيْن إنساني انطفا واغتدى الجاري مِنَ العَيْنِ عَقيقاً لا لُجَينْ

* * *

أيـــزيدٌ فَـــوْقَ فَـــرشٍ مِـــن حَريـــرٍ وسَـــريرْ ثَمِـلٌ نَشـوانُ مِـنْ خَمـرٍ لـه السّـاقي يُـديرْ
وحسـينٌ في صـخورٍ وسَـعيرٍ مِـنْ هَجِـيرْ ساغباً ظمـآنُ يُسقى مِـن نَجِيعِ الـوَدَجينْ

حَـطَّمَ الحُـزْنُ فـؤادي لِحَطـيمٍ بالصـفا ولـهيفِ القلـبِ صـادٍ وَذَبـيحٍ مِـن قفـا
وَلِـعارٍ فـي وِهـادٍ فَوقـهُ السـافي سَـفا صـدرُهُ والظهـرُ منـه أصـبحا منخسـفَيْنْ

* * *

وا ذبـيحاً مِـن قفـاهُ بالحُسـامِ البـاتِرِ وا طـريحاً بـعراهُ مـا لـهُ مِـن سـاتِرِ
وا كـسيراً أضـلعاهُ بصـليبِ الحـافرِ وا رَضيضـاً قَـدَماهُ والطـوى والمنكبـيْنْ

* * *

يـا أخي قَد كُنْتَ تاجاً للمعالي والرُّؤوسْ مُـقْرِياً لـلضيفِ والـسيفِ نَفيسـاً والنفـوسْ
كيفَ أضحى جسْمُكَ السامي لَهُ الخيلُ تَدوسْ بعدما داست على هامِ السُّها بالقَدَمينْ

* * *

سـادتي حُـزني كَـحُبِّي لـكمُ بـاقٍ مُقـيمْ هِـبَةٌ مِـن عِـنْدِ رَبِّي ولـهُ الفَضْـلُ العَمـيمْ
قَد صفا الحُبُّ بقلبي فاجعلوا ذنبي حَطيمْ واكشفوافي الحشرِ كربي واشفعوافي الوالِدينْ

* * *

حَسَنٌ ما حَسَنٌ فيه سوى حُسْنُ الوداْ وولاه فـي بـرآء وصَـفاءِ الاعتقـادْ

وهـو كـافٍ في أمـاني مِـنْ مخـاويف المعـادْ إنّمـا الخَـوفُ لِمَـنْ لَمْ يَعْتَقِدْ فَضْـلَ الحُسـينْ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين

الفهرس

المقدّمة ٣
مميّزات شخصيّته..... ٤
نسبه الشّريف ٧
أُسرته..... ٨
ولادته ونشأته ١١
خطابته..... ١٢
تكريم السيّد للعلماء ١٥
تواضعه ١٧
الفارس في ميدان الشعر ١٨
نشاطاته الأُخرى ٣٣
مؤلّفاته ٣٥
موقف بطولي وتأريخي ٣٦
قالوا في السيّد جواد شبّر ٣٦
تلامذته..... ٣٨
الحسين عليه السلام عبرة المؤمنين..... ٤٠
المقدّمة ٤٠
احتفال الأئمّة بيوم عاشوراء ٤٠
يوم الدموع..... ٤٢
فضل الحسين عليه السلام ٤٣
مصرعُ العبّاس بن عليّ عليهما السلام حامل راية الحسين عليه السلام ٩٠
ملحمة الطفّ..... ١٠٤